

# الثقافة

AL-THAQAFa

الطبعة : ١٨ شارع الكرافيس مدين - القاهرة - تلفون رقم : ٤٦٩٩٠  
٤٦٧٩١

المجلد ٢٧٦ : الثلاثاء ١٨ من ربيع الثاني سنة ١٣٦٣ - ١١ من أبريل سنة ١٩٤٤ السنة السادسة

## فهرس العدد

| صفحة | موضوع  | صفحة | موضوع   |
|------|--|------|---|
| ١٧   | سلوط مملكة إشيدي وحنه : للأستاذ محمد عبد الله هنان | ١    | أمريكا والكتاب الأبيض : الدكتور محمد عوض محمد |
| ٢٠   | أوب الأسبوع : حديث                                 | ٢    | تركيا الحديثة : ... ( )                       |
| ٢١   | الآل - جزيرة الموع ١ - توزيع                       | ٩    | شاعر بن مروان : للأستاذ شفيق جيري             |
| ٢٢   | الزوجة ١ - حرك الفقر                               | ١١   | سقط الدم : الدكتور أحمد زكي بك                |
| ٢٣   | أستاذ وياك ( قصة ) : عبد المجيد لائل               | ١٢   | حول التبريد القاهب : ...                      |
|      |  | ١٣   | تلكمات الحطب : ...                            |
|      |  | ١٤   | من مبرالعرق : كناية العضا : الدكتور رول كرأوس |

## أمريكا والكتاب الأبيض

بالقضاء على الشر حينها وجد ، وفي أي دكن من أركان الأرض ظهر .

هناك أخذنا نحس أن أمريكا قد اقتربت من العالم القديم ، وأن المحيط الأطلسي الضخم بوشك أن يتلاشى ، وأن ليس هناك فوارق في التفكير والبادي تفرق بين العالم القديم والعالم الجديد ، وأن أمريكا - تلك الدولة الديمقراطية العظيمة - ستأتي بنقودها الخائل ، وقوتها الساحقة ، في جانب الدفاع عن الحق وإنصاف الظالمين ، وفي إنشاء عالم جديد يسوده العدل بين الشعوب كبيرها وصغيرها .

ثم قيل لنا إن أمريكا لم تدخل هذه الحرب - كما دخلت الحرب الماضية - وهي جامعة بشئون العالم ،

كأن أكثرنا أن ينسى أن بين العالم القديم والجديد محيطاً ضخماً يحرسه أربعة آلاف من الأميال ، يفصل بين عالين ، ويفرق ما بين رشح العمور . كدنا أن ننسى وجود هذا المحيط منذ أن غاشت أمريكا - أو اضطرت لأن تغوص - غمار هذه الحرب ، وخرجت نهائياً من تلك الميزة التي استمكنت بها دهرماً طويلاً ، وأخذت تشارك العالم القديم خطوبه وحروب ، وتشترك في مجامعته ومحافظه ، وفي حل معضلاته ومشاكله . هناك صفق كثير من الساس طرماً ، بأن أمريكا قد أدركت ، بدلنا ، أن شئوننا من شئون هذا العالم ، وأن الشر إذا استفحل في جانب من الكوكب ، فإن سمه لا يلبث أن يسرى في الجسم كله ، وأن النجاة من الشر لا تكون إلا

الطليح الغازي إلى القطر المصري . والأمر الثاني : خيبة هائلة يشيها رجال السياسة والصحافة هناك من أجل إكراه القطر الفلسطيني على قبول عدد لا حده من مهاجري اليهود .

لا يكاد يضى يوم حتى تنقل إلينا صفحا أنباء من أمريكا عن فلسطين ؟ منها ما يدل على اهتمام البرلمان الأمريكي بشئون ذلك القطر ، ومنها ما يشير إلى اللامبالية من المآثر يجمعها اليهود من أجل شراء أرض فلسطين ، ومنها تصريحات يدل نية الرئيس ، أو حاكم يتحدث بلسان الرئيس ؟ ومنها بيانات تصدرها الصحف ، أو ينشرها زعماء اليهود . وهذه الأنباء والتصريحات ، مهما اختلفت مضاردها ، فلها جميعا تضرب على نفعة واحدة ، وتهدف بدلا واحدة ، وهي نفعة كلها لإغراب عن التطف الشديد على اليهود ، وضرورة منحهم فلسطين لكي تكون دولة يهودية .

في هذه التصريحات والأخبار ذكر أو إشارة إلى أمريكا ، فيشير ، ولو من بعيد ، إلى الأمة العربية التي تسكن فلسطين ، كأنهم جميعا يتمددون أن ينقلوا ذكر هذه الأمة التي طالما رحبت باليهود وعطفت عليهم ، وحببتهم للناسب السامية ، وأعدت لهم الخيرات .

إنني أستعرض - وأنا أكتب هذا المقال - قصاصات من صفحا اليومية ، كلها خاصة بفلسطين ، وكلها صادرة عن جهات أمريكية عليها ومتوسعة ، وليس في واحدة منها إشارة يشتمل منها أن في ذلك القطر سكانا ، اسمهم العرب . فهل يدل هذا الإغفال المحجب على مبلغ علم أولئك السكتاب والرؤساء بقطر فلسطين وشعبه الكريم ؟ وهل يدل ذلك الإهمال على أنهم لا يعرفون أن هناك أمة اسمها الأمة العربية ، وأن فلسطين وطن من أوطانها ؟ . ورغم هذا فقد أخذت تلك الهيئات والشخصيات الممتازة تدل

وإلشاكل العميقة الدقيقة التي تذكر صفو العلاقات بين الشعوب ، بل تدخلها هذه المرة وهي على علم دقيق بما يجري في كل قطر ، وما يجيش به الصدور في كل بلد ، وعشا كل كل شعب وآماله وأمانيه ؟ ولدى الحكومة الأمريكية التقارير المستفيضة ، مما كتبه رسالها في كل وكن من أركان العالم بعد دراسة وتحصيل .

وهكذا لم يد هناك محل لأن يشكو أحد من أن أمريكا تؤثر سياسة العزلة ، بل أخذت الآمال على قلوب الناس بأن دخول الولايات المتحدة الأمريكية ميدان السياسة الدولية معناه أن صفحة جديدة ستفتح في علاقات الشعوب ، وهي صفحة نقية ناصعة خالية من شوائب البطش والمنف والاستغلال .

ونحن ، أبناء الدول الشرقية ، والدول الصغيرة ، قد كنا أول الرحيين بأن أمريكا قد دخلت ميدان السياسة العالمية مفتحة ، ودية رأى ومشاريع ولدية حليقة . فلقد اشتهر عن أمريكا وعن الأمريكيين الأمور عريضة مجموع إلى قلوب الأمم الصغيرة ، اشتهر عنها الانفتاح على جميع صوره وأشكاله ، ومقننا فوسائل المنفعة تستخدم في إخضاع الضعيف لإرادة القوى الدال بقوة . وأمل أمريكا أول من اشكر عبارة « حق تقرير المصير » ، وكانت بأنه لا يجوز فرض حالة سياسية على شعب من الشعوب أو جماعة من الجماعات إلا برضاها وموافقتها .

من أجل هذا كله أخذنا نرغب ما يصدر عن أمريكا من رأى ، وما تبديه من فكر ، ونقبنا ما يقول ساستها في خطتهم ، لكي نرى أى سماء جديدة ستظل العالم ، وأى أرض جديدة ستشهد لحياة الشعوب . وراقبنا بوجه خاص ما يجعله إلينا البرق ، وننقله إلينا الصحافة عن شئوننا نحن سكان العالم العربي والإسلامي . فلذا بأهم الأمور التي شغلت أمريكا في هذا الركن الكريم من أركان الأرض أمران لا نكث لهما : الأمر الأول مد أنابيب للبترول من

يجرى بدون اطلاع على حقائق الأمور ، وأنه أفضل للعالم ولأمريكا نفسها أن نمود إلى عزلها بدلا من هذا التدخل الذي لم يبن على علم والاطلاع .

ومع ذلك فإن الشعب الأمريكي أشهر بميله إلى الحرية والإنصاف ، وقد بلغ من حبه للإنصاف أن حكومته أمرت بأن تحفظ باسم الزعم هتلر جميع الأموال المتحصلة من بيع كتابه المرفوف « كفاخي » إلى أن تنتهي الحرب ويبت في هذه الأموال ، فإما أن ترد إلى صاحبها أو إلى ورثته ، أو يتصرف فيها طبقا لشرعة العدل والإنصاف . ذلك مبلغ حرص أمريكا على حفظ حقوق هذا الزعيم الأثافي الذي أعلن عليها الحرب ، فما مبلغ حرصها على حقوق الشعب العربي الضدين الذي لم يبد نحوها إلا كل معاملة واحترام ٤ .

كان أول مظفر لاهتمام أمريكا بالشعب العربي هذا العام ١٩١٤م ، قدم إلى مجلسي البرلمان الأمريكي بقضى بحصول فلسطين إلى دولة يهودية ، كان البرلمان الأمريكي قد فرغ من النظر في شئون أعدائه من اليابان والألمان ، وقضى في مصر أرضهم وديارهم ، فأخذ يتفرق في أرض الأسفدة والحلفاء التي تعد جيوشهم اليوم بالبترول ، وإزاءه وبمختلف المساعدات القيمة ، فأخذ يتصرف في تلك الأرض بمنحها لليهود لكي يقيموا فيها دولة .

ثم جاء الرئيس روزفلت نفسه ، فلم يرد أن يتحدث بنفسه ، بل أهاب عنه خاضعين عظيمين لكي يطلبوا للعالم أن الحكومة الأمريكية لم توافق على نصوص الكتاب الأبيض . ولا ندرى كيف غاب عن الرئيس ومن خاضه القاضين ، أن الكتاب الأبيض وثيقة ترجع إلى ما قبل هذه الحرب ، تمهدت بمقتضاها الحكومة البريطانية صاحبة الانتداب على فلسطين ، أن تسلك في اقتدابها على الأرض المقدسة سياسة خاصة . تمهدت بهذا أمام العالم العربي ، وأمام عصبة الأمم ، وأقرها على هذه

بالرأى ، وتشير بالسياسة التي يجب اتباعها في فلسطين . فقول يجوز لنا بعد ذلك أن نعلم أن المحيط الأطلسي قد زال ، وأن أمريكا قد دثت من العالم القديم ، حتى أصبحت تحس زعامة ونهضة قلبه ، وكانت ملحة أحسن إلزام بما في النصف الشرق لشكرة من مشاكل . لقد أثبتت لنا تلك الإشارات إلى فلسطين - مع الأسف الشديد - أن المحيط لا يزال حائلا قويا دون اطلاع تلك الديمقراطية الأمريكية الجديدة على شئون بلاد الشرق القديم . فقد أخذت أمريكا تتدخل فعلا في شئون الشرق العربي ، وتدخل فيه بأرام هائلة ، كأنها صاحبة حق في تصريف شئون هذا العالم ، ومع ذلك فإنها قد أثبتت أنها لم تلم بعد الإلزام الصحيح بشئون هذا الركن العظيم من الأرض .

وقد نشرت جريدة « إيكونوميست » - وهي من الصحف الشديدة الاعتدال ، في أول الشهر الماضي - مقالاً عن تدخل أمريكا في شئون الشرق الأوسط ، قالت فيه : « إن الولايات المتحدة تنوي أن يكون تدخلها فاعلا في شئون الشرق الأوسط . . . ولكن التدخل من جانب واحد ، وبدون اطلاع على حقائق الأمور سيكون أسوأ لأمريكا من سياسة العزلة . ول سوء الحظ تظهر حالتنا التدخل الأمريكي في سياسة الشرق الأوسط علامات جدل على فئة النظر البعيد » .

كذلك نشرت جريدة منشستر جازديان مقالا شرحت فيه مظاهر تدخل أمريكا في أمور البلاد العربية حديثا ، وقالت فيه : « أما من وجهة نظر بريطانيا ، وجميع شعوب الشرق الأوسط ، فإن انسحاب الأمويكيين مرة أخرى من المنطقة نفسها أفضل من هذا النوع من التدخل » \* . وهكذا نرى صيغتين اشهرتا بالاعتدال والإنصاف يصفان التدخل الأمريكي في شئون الشرق الأوسط بأنه

(٥) راجع خلاصة المواقف في المصرد (١٩/٢/٤٤) .



تحدثت عن الفرض الحقيقى الذى تسمى نحوه السياسة الأمريكية ، لأننا لا نريد أن ندلى بحكم فى أمر لم يتج لنا الإعلام بدعائه ، وليس بمستنح أن نحكم بالظواهر وحدها .

ولقد أسرفت الدعوات الأمريكية فى أمر الهجرة إلى فلسطين إسرائفاً يوشك أن يسيء إلى الحكومة والشعب الأمريكى أبلغ الإساءات . فلقد طالعنا بالأمس تصريحاً خطيراً من حاكم ولاية نيويورك ، ولعله أن يكون أحد المرشحين للجمهورية الأمريكية هذا العام ، ينادى فيه صراحة بأن حكومته يجب أن تتخذ الإجراء اللازم لمضط على بريطانيا لكي تعدل عن سياسة الكتاب الأبيض . قبل دوى حاكم ولاية نيويورك ما هذا الكتاب الأبيض الذى ينادى بتهميقه ؟ ألم يدركه أن هذا الكتاب يتطعن عمداً قلمته دولة محترمة بحل حربيها ومن تلقاء نفسها ، وتقيده أمام العالم كله ؟ فإذا كان مما يستبجحه حاكم نيويورك أن تحت الدول بموافيقها وتنفذ عهدها على كتاب على هذه الحرب ، ولم كان كل هذا التشهير بالولايات المتحدة ؟

لقد قيل فى تفسير الظاهرة العجيبة فى السياسة الأمريكية أنها راجعة إلى أن هذا عام الانتخابات ، وكل شخص حريص على إحراز أصوات اليهود . ولنا لا يستأ إلا أن نرجو أن يكون هذا القول صحيحاً ، فإن أسفنا عظيم على أن يكون النظام اللدعراقلى واقفاً الناس إلى الإدلاء بهذه الآراء الفجة ؟ ولكن أعظم منه ألف مرة أسفنا على أن تكون أمريكا دولة تتكلم بخسارة عن شرعة العدل والإنصاف !! محمد عوض محمد

السياسة البرلمان البريطانى ؟ ولم تكن أمريكا فى ذلك الوقت عضواً فى عصبة الأمم ، وليس لها صلات ببلاد الشرق الأوسط ، وهى ناعمة عادة فى عزالتها التى أحببها واختارنيسا . فلم يكن من المعقول أن تدعى حكومتها للموافقة أو عدم الموافقة على كتاب وعده لا يحسبها من قريب ولا بعيد . وليس لها شأن به ولا بما جاء فيه .

وكثير من المتحدثين من فلسطين فى أمريكا عجزون اهتمامهم بأمرها يعطفهم على اليهود الذين حرصوا فى هذه الحرب لويلات كثيرة ، ويقادون بضرورة فتح أبواب فلسطين على مصاربعها اللاجئين منهم ، ومساعدتهم على الانتقال إلى هذا القطر . وليس من شك فى أن العالم كله قائم على تلك القوى الشريرة التى أنزلتها هذه الحرب ، وكان من جرائها أن أصيب كثير من الطوائف والشعوب بالشر والعدو ، وأزل الويل واليبور بساحة جامات بريئة ، ليس لها فى هذه الحرب حرة اقترافها . ولكن هذا الصبر الأليم ليس مقصور على اليهود وحدهم . فقد عم شعوبا وجامات عديدة ، ماتت فى هذه الحرب أعداد

الولايات ، ولم يبد أولو الأمر فى أمريكا أكثرنا بهم وعصيرهم ، وبما يعانون من ضروب العذاب ، بل قصروا عطفهم ودعائهم على اليهود ، وبما دأبوا بأنه يجب لإرسالهم إلى فلسطين وحدها دون سائر أقطار العالم . ومن العجيب حقاً أن أولئك الكتاب والقادة الأمريكيين ، لم ينادوا بفتح أبواب أمريكا نفسها لحولاء اللاجئين ، وأمريكا تزيد فى الساحة والثروة بنحو ألف مرة على قطر فلسطين .

ونحن مضطرون فى هذه الحال لأن نستنتج أن ليس الفرض الصحيح من كل هذه النداءات والتصرجات إنفاثة الشريد ومساعدة اللهوف ، وإلا لأمكن إيواء اللاجئين بسهولة فى أقطار واسعة قسيحة بدلاً من فلسطين التى ماتت قسطلها — بل وفوق قسطلها — من الهجرات اليهودية ، والى أصبحت اليوم تضيق عن قسطلها . ولا نستطيع أن

ضحى الاسلام

يباع كل جزء من أجزائه بأربعين قرشاً

## تركيا الحديثة

## نهضتها الصناعية

كيف كانت الأحوال الاقتصادية في تركيا قبل قيام الجمهورية ، وما التركة التي خلفتها الإمبراطورية العثمانية الراحة لأناطورك في الصناعة والتجارة ؟ كانت النشاط الاقتصادي أجمع مقفورا على الأجانب ومن ثم في حكم الأجانب من الأغنياء المتجنسة بالجنسية العثمانية كالأرمن واليونانيين ، وكانت البلاد متأخرة في الصناعة والتجارة فلم يكن بها من المصانع سوى قليل من النسيج اليدوي للسجاد ببلاد الأناضول ، ومعمل الفخار والقرميد ببعض الجهات ، ومصانع صغيرة لقطعن ، وجهد ضئيل لاستخراج الفحم من مناجمها على سواحل البحر الأسود ، وصناعة كيميائية ضئيلة ، وقليل من « الورش » المختلفة المحدودة الإنتاج ؛ أما صادرات البلاد فكانت لا تصد سوى القطن والفواكه ، وكان تصديرها بيد رجال الأعمال الأجانب وكانت المرافق العامة الرئيسية في المدن المركزية كالترام والتليفونات والسيارات والغاز والكهرباء وأحواض ترسيم السفن بالسفوف وصرفاً أزيمر ، كلها بيد الأجانب وينتج أن يكون هؤلاء من الفرنسيين أو الإنجليز أو منهما معا . وكان البيت المال ذو المركز المنخفض في البلاد هو البنك العثماني ، وهو مؤسسة يسيطر عليها الإنجليز والفرنسيون ، وكان له أثر بعيد المدى في امتداد النفوذ الأجنبي ، وقد ربط مالية البلاد بعمالة إنجليز وفرنسا ، وعن طريقه تمسرت الديون الخارجية الأجنبية التي اقترضتها تركيا من الدول ، وهو الذي كان يقوم بأهم الأدوار في المفاوضات بشأن مقاولات الأشغال العامة التي مكنت إنجلترا وفرنسا من إنشاء سكك حديدية في البلاد تابعة لها ، وهو الذي كان يتولى إغراق البلاد بمختلف الشركات الأجنبية التي تستغل محصولات البلاد الزراعية والصناعية وتغزو منها تصيب الأسد في الأرباح ، وهو الذي كان له الشأن الأكبر في

إيجاد مصلحة الدين العثماني التي كانت تؤثر تأثيرا عظيما في سياسة البلاد .

فالمبني الذي تفتته الجمهورية على كاهلها كان عبئا ثقيلا ، والتركعة التي قبلتها كانت تركعة ضعيفة مثقلة بالديون . وكان عليها أن تحمي البوابات وتموض مافات البلاد خلال قرون طويلة سادها التقصير والعجز والإهمال ، وتعلن في أسرع وقت صناعة قومية قوية تكني البلاد حاجتها ، كما كان عليها أن تغزو الأجانب في هذا الميدان الذي اغردوا به ، وتنتزع منهم معاقلمهم وحصولهم التي اعتصموا بها في قلب البلاد . وبغير ذلك لا يتحقق الاستقلال الصحيح للبلاد وتظل عرضة لشكر التآمر التي كانت تحدث في الماضي ، والتي كانت أخطر عامل في ضعف الإمبراطورية العثمانية وأعمالها . سارت الجمهورية في الإنعاش الصناعي على مرحلتين :

الأولى في السنوات العشر الأولى من قيامها ، أي الفترة ما بين سنة ١٩٢٣ وسنة ١٩٣٣ ، والمرحلة الثانية في السنوات الخمس التالية ، أي من سنة ١٩٣٣ إلى ١٩٣٨ . فالمرحلة الأولى فكانت سياسة الحكومة فيها أن تترك الصناعة حرة للجهود الخاصة ، وأن تشجع هذه الجهود أكبر تشجيع بشق الوسائل ، فعملت النقابات الصناعية منهايا كبيرة تتمتع بها ، وتزداد هذه المزايا كلما كثرت هذه النقابات واتسعت ؛ وكانت تهب المصانع الأرض التي تقام عليها بلا مقابل ، أو تباعها لإياها بتمن زهيد يسد على آجال طويلة ، كما كانت تقدم لها المساعدات في بنائها ؛ وأعطت المصانع من كثير من الضرائب ، وخففت رسوم الجمارك على ما تستورده من الخارج من آلات أو خامات لازمة للصناعة . وإذا قيس حال الصناعة في آخر تلك السنوات المتسارعا كانت عليه قبل بدايتها ، عد نجاح هذه السياسة بآهرا ، فقد اتسعت أعمال التمدين والصناعات الخاصة بإنتاج الأغذية والصناعات التي تستخدم محصولات الزراعة في البلاد ، وصناعات النسيج ، والصناعات الخشبية . وارتفع عدد العمال سنة ١٩٣٣ إلى



٦٢٠٠٠ عمل ، وكان سنة ١٩٢٣ حوالي ١٧٠٠٠ عامل وهذا عدداً من يعملون في الصناعات الصغيرة ، ويبلغ عدد عمال نحو أربع مليون .

وفي هذه المرحلة التي يصبح أن تسعى مرحلة التشجيع لم تشترك الحكومة في الصناعة اشتراكاً فعلياً إلا في حالات محدودة ، فقد كان لها منذ سنة ١٩٢٣ عدد صغير من المصانع ، أهمها مصنع للأخشبة ، وثلاثة مصانع للزجاج ، وكأها قرية من استانبول ، وكان بدر هذه المصانع بالنيابة عن الحكومة بنك يسمى بنك الصناعة والتمدين ، واضطرت الحكومة لأن تتولى إنشاء مصانع لتكرير السكر ، لما دأبه من أن البلاد تعتمد أمانها كلها على ما تستورده من الخارج من هذه المادة ، مع أن بالإمكان إنتاج المحصولات الزراعية التي يستخرج منها في البلاد ، لهذا أنشأت مصنعين لتكرير سنة ١٩٢٦ أعقبتها بآخرين بعد ، فكان للحكومة في سنة ١٩٣٣ أربعة مصانع لتكرير السكر تنفق لإنتاج نصف ما تستهلكه البلاد . أما المرحلة الثانية التي بدأت سنة ١٩٣٣ فهي مرحلة الاقتصاد الدبر والخطة الرسمية ، والاهتمام بالجهود المادية لا على جهود الأفراد والمؤسسات الخاصة . ولسمى هذه المرحلة برنامج السنوات الخمس للصناعة . وقد دفع الحكومة لهذه الخطوة أن السياسة التي سادت عليها في إنفاذ النهضة الصناعية في المرحلة الأولى ، وهي سياسة إطلاق الحرية للجهود الخاصة في أمر الصناعة وتشجيع المؤسسات الصناعية ، مع تكملة النقص بإنشاء بعض مصانع حكومية متواضعة ، هذه السياسة مع نجاحها النسبي كان سببها بطيئاً لا يحقق التطور الصناعي القوي السريع الذي تستخدمه الحكومة ، فكان لا مفر من أن تنزل الحكومة بنفسها إلى الميدان ، وتتولى بنفسها رسم خطة واسعة شاملة للصناعة القومية تقوم على تنفيذها في خمس سنوات تبدأ من سنة ١٩٢٣ . وقد يكون مبني هذا الزعم القوي وهذا الاتجاه الجديد في مهمة الحكومة هو ما شاهدته من نجاح تجربة مماثلة في جارة متاخمة لها ،

فقد كان نجاح الجمهورية السوفيتية في برنامج السنوات الخمس حائزاً لها على أن تسبق في بلادها مثل هذا النهج ، ومن المحقق أن هذه السياسة الجديدة أقيمت تشجيعاً من السوفييت ، واستطاعت تركيا أن تعقد قرصاً يبلغ ستة عشر مليوناً من الجنيهات التركية أو نحو ثمانية من ملايين الدولارات الذهبية تستعين به على تنفيذ البرنامج .

أما البرنامج فكان ينصب على تحقيق غرضين : الأول إنشاء صناعات تقوم بإنتاج المواد اللازمة للاستهلاك المحلي ، والثاني إنشاء الصناعات الأساسية التي تقوم عليها كل الصناعات ، والتي تعد البلاد بوسائل الإنتاج ، وحددت البرنامج صناعات الاستهلاك التي تنتجها في الأقسام الآتية : للمسوجات على اختلاف أنواعها من قطنية وكتانية وصوفية وجربية ، والورق والورزجاج ، واللبني ، والمنتجات الأساسية فهي : الفحم والكوك والحديد والمواد الكيميائية واللدائن والسكر ، وقد أدخل على الخطة بعض التعديلات ، ومنها تقدمت الحكومة بالبرنامج أعلنت آمورها ثلاثة : الأول : أن يكون إنتاج المصانع وعددها وأقسامها بالقدر الذي يكفي مطالب الاستهلاك في السوق المحلية ، فلا يبذل أي جهد أو وقت أو مال فيما زاد على ذلك ، ولا تفكر الحكومة في إنتاج بضائع تصدر للخارج وتنافس في الأسواق الخارجية صناعة أهم أسبق وأرسخ قديماً في هذا المقادير ، والثاني أن تقوم الصناعات المستحدثة على استخدام خامات البلاد من قطن وخشب وحديد وحم وكبريت ورخام ، والثالث أن تنشأ الصناعات التي يحجز المجهود الخاص من إنجاءها على وجه عاجل .

وقد لتنفيذ هذا البرنامج أكثر من أربعين مليون جنيه تركي ، وهو مبلغ يزيد كثيراً على ما اقترض من اتحاد السوفييت . ولهذا أسست الحكومة سنة ١٩٣٣ لتحويل هذه الشروعات والإشراف على تنفيذها وإدارتها بنكاً جديداً سمته « بنك سوبر » حل محل بنك الصناعة

والتصنيف القديم ، وحدد اختصاص هذا البنك في قانون إنشائه فيما يلي :

« أن يدبر المصانع الحكومية التي أسلمها من بنك الصناعة والتعدين ، وأن يقوم من الحكومة بتسويقها في الإشراف على المؤسسات الخاصة التي تساهم فيها الحكومة ، وأن يعد التقارير والمعاط اللازمة لكل مشروع جديد في الصناعة تملكه الحكومة » ، وأن يتولى تلك الشركات وإدارتها ، وأن يساعد قدر ما تسمح به طاقته المالية كل المشروعات الصناعية التي يكون في وجودها نفع للاقتصاد القومي .

ولم يكن المسأل هو الصعوبة الوحيدة التي واجهت الحكومة عند البدء في تنفيذ برنامج السنوات الخمس ، فقد كانت تعترض أن تم في خمس سنوات مشروعات اقتضى تنفيذها أكثر من خمسين سنة في أم غربية عريقة في الصناعة ، ولم يكن لديها كفايتها من الخبراء الفنيين ولا من العمال المحدثين ، وكان الشعب التركي حديث عهد بالاشتغال في المصانع على الأسلوب الغربي ، وهو غريب في المواصلات كانت عقبة أخرى لا يتيسر معها نقل المواد والبضائع إلى حيث تنشأ المصانع ، ومع هذا كله فقد سارت الحكومة قدما في سبيل تنفيذه وذلك كل تلك الصعوبات .

وقد دس في اختيار مواقع المصانع عدة اعتبارات ، فلم يقتصر على مراعاة قربها من مصادر المواد التي تستخدم في الصناعة وسهولة المواصلات معها ، بل راعى هناك سورا كذلك أن ينشر الصناعة في مختلف الأرجاء بالبلاد ، وألا يتركزها في جهات معينة فيخلق بذلك مدينا مزدحمة بالمصانع والسكان كما هو الحال في إنجلترا مثلا . ولعل بعض الاعتبارات الحربية ألقت ضرورة هذا الاعتبار ، ولكنه كان اختيارا موقفا ملائما لظروف البلاد من ناحية أخرى ، فقيام المصانع في قلب الأقاليم الزراعية يسهل للفزارعين الجمع بين الزراعة والصناعة فيشتغلون بالصناعة حين لا يحتاجهم الزراعة ، وبذلك يزداد إيرادهم يرتفع مستوى عيشهم ولا تنفجر المصانع إلى الأبدى السامة . وكان أظهر نجاح في برنامج السنوات الخمس صناعة المنسوجات ، فزاد

عدد الغازل من ٧٢٠٠٠ مغزل في سنة ١٩٣١ إلى ١٨٩٠٠٠ مغزل في سنة ١٩٣٨ . والمصانع التي أنشأتها الحكومة مصانع ضخمة بنيت على أحدث طراز ، وألحق بها مساكن للعاملين والعمال ، وأمرد للمزاج منهم بناء خاص ، والتروجين مساكن خاصة تعطل لهم بأجر زهيد ، كما ألحق بالمصانع مستشفيات ومقاصف وملاعب وسينما ومقارنات وحمامات للسباحة وأندية للخييل ، وأكبر مصانع الغزل الحديثة في قيسارية ، وبه ٣٣٠٠٠ مغزل ، ويشغل به ألفا عامل على توبتين ، يشغل كل فريق ثمانى ساعات . أما الطاقة الثانية من صناعات الاستهلاك التي تم تنفيذها خلال السنوات الخمس تحقيقا لبرنامجها ، فهي : مصانع الورق والزجاج والخزف ، وببأت أكثرها بالقرب من استانبول . وقد انتفع حديثا في أزميت مصنع للورق ، أمد على أحدث طراز ، وإنتاجه وحده يكفي نصف استهلاك البلاد ، ويستمد على مواد تنتج محليا عند السيلولوز الذي يستورد من الخارج إلى أن يتم إنشاء مصنع له وهو مصنع أن يش . وفي صاخبه بالقرب من استانبول مصنع في إنشاء مصنع للزجاج ينتج سنويا خمسة آلاف طن ، وهو يقرب من نصف استهلاك السوق التركية . والصناعة الوحيدة التي لم تخط الحكومة خطوة فعلية لتنفيذها من برنامج السنوات الخمس هي الأدوات الصيلية . وتم كذلك تحقيق الجزء الثاني من البرنامج ، وهو القسم الخاص بالصناعات الأساسية أي الحديد والفولاذ والمواد الكيميائية ، فأنشئ مصنع للسكرت في قيصرولو سنة ١٩٣٥ ، وهو ينتج سنويا نحو ٥٠٠٠ طن من زهر السكرت ، ويجرى الآن إنشاء مصانع لخامض السكرتيك بالقرب من زنجبارك ، ولللكور والسودا الكاوية بالقرب من أزميت ، وأنشئ مصنع للإسمنت في سيقاس . ومع أهمية هذه المواد فإن مستقبل تركيا الصناعي يتوقف في النهاية على مبالغ على تقدم الصناعة الضخمة . وهناك مركزان عظيمان اختيرا لذلك : الأول زنجبارك على ساحل البحر الأسود ، والثاني قراوق على بعد نحو مائة ميل منها في الداخل ، ففي زنجبارك حيث منابع الفحم



عدا الكروم كثيرا من الحديد والخصائص والخاصين والنحاس . ويقوم بنك ابني الآن بالعمل في ثلاثة مناجم للنحاس بالجبهة الشرقية ، وكانت أعمال التعدين قبل قيام الجمهورية بيد شركات أجنبية فرنسية وألمانية وإنجليزية ، وقد تم لبنك ابني في برنامج السنوات الثلاث شراء حصص كل هذه الشركات ، وجعلها ملكا للحكومة التركية تتولى إدارتها بنفسها .

كذلك عهد لبنك ابني بترقية مصادر الطاقة بالبلاد ، ووضع لتحقيقها مشروع سنوات أربع ؛ وقد تم التعاقد على إنشاء محطة كبرى لتوليد الكهرباء ، في سنة ١٩٤٠ ، وحملت مباحث عن البترول ، وفي ربيع سنة ١٩٤٠ فتحت آبار لازيت في الجنوب الشرقي بالقرب من سيرت ، ويظن أن إنتاجها مع تصب تركيزا من زيت الوصل ، سيكفي حاجتها من هذه المادة .

وبالضرورة كان لا بد من تحسين كبير في طرق الاتصالات تآثر هذه النهضة الصناعية الواسعة . وقد قامت الحكومة بتجديد كبير في ذلك ، فأنشأت سككا حديدية متعددة ، تصل المراكز الصناعية الجديدة بمختلف الجهات التي تربطها هذه الصناعة ، كما حسنت طرق السيارات في أكثر أنحاء البلاد ، وسارت على سياساتها الأساسية فاشترت ما كانت تملكه الشركات الأجنبية منها . وفي سنة ١٩٣٨ أعدت الحكومة برنامجا صناعيا لأربع سنوات يقوم على أساس التوسع في الصناعات الثقيلة ، وزيادة إنتاج المواد المستهلكة ، ومواصلة النشاط في كشف المصادر المعدنية واستغلالها ، وتحسين ما بدأ في طرق المواصلات . وجاءت الحرب العظمى قطعت سير هذا البرنامج ، واضطرت الحكومة لتعديله ، وجعل العناية الأولى للصناعة التي تعلها الضرورة الحربية .

ويطول في الكلام إذا أخذت في الحديث عن مالية البلاد ونظامها المصرفي ، وحسبي أن أقرر أن الحكومة نجحت نجاحا كاملا في خططها ، وحررت البلاد من النفوذ الاقتصادي الأجنبي ، وأنها نفذت نشاطا كبيرا في استغلال مواردها جميعا .

ينتج سنويا نحو سبعين ألف طن من الانتراسيت ، وفي فرايبورق مصانع الحديد والفولاذ تعتمد عليهما الحكومة أكبر اعتماد في تحقيق خططها المرسومة لتقدم الصناعة . وإلى جانب « بنك سومر » قام « بنك اش » أو البنك التجاري ، وهو مؤسسة مستقلة شبه حكومية ، وقد تعاون في البحث عن مصادر الفحم في زنجبار وفي بناء مصنع الانتراسيت هناك ، وتولى تحويل صناعة تكرير السكر التي قربت من إنتاج ما يغلي كل الاستهلاك المحلي ، ونظم كذلك حركة التأمين على الحياة وقد كانت من قبل بيد الأجانب . ومما أعدت الحكومة خطته في برنامج ثلاث سنوات من سنة ١٩٣٧ التزقيب عن مصادر الثروة المعدنية في البلاد واستغلالها ، وقد أسست الحكومة لذلك أيضا بنكاهو « بنك ابني » يقوم في التعدين عتلى قام به بنك سومر في الصناعة . وفي البلاد مصادر ثروة معدنية واسعة ، ولكنها لم تعرف تماما ، ولم تستغل استقلاليا كاملا إلا بعد قيام الجمهورية ، فبعد كان الفحم يستخرج في زنجبار منذ قرون ، ولكن الإنتاج السنوي كان غير منتظم ، ولم يزد على نصف مليون طن ، وفي سنة ١٩٢٣ كان حوالي ٦٠٠٠٠٠ طن ، أما في سنة ١٩٣٧ فقد بلغ إنتاجه ٢٣٠٠٠٠٠ طن ، وارتفع في السنة التالية إلى ٢٥٠٠٠٠٠ طن ، ولا يزال مقدار الانتاج مع هذا قليلا بالنسبة لسعة موارد هذه المناجم ، وستزداد كثيرا بعد إدخال آلات قطع الفحم الحديثة ، وتدريب العمال على المهارة في ذلك . وأحسب الحكومة قد أتمت إدخال هذه التحسينات ، وأنها تنتج الآن بالفعل ما يزيد على ذلك كثيرا .

كذلك تقدم استخراج كثير من المعادن تقدما واضحاً وزادت أهميتها في السنوات الخمس عشرة الماضية ؛ وعلى سبيل المثال نذكر أن ما يصدر من الكروم سنويا ارتفع من ٣٤٠٠ طن في سنة ١٩٢٣ إلى ١٩٢٠٠٠ طن سنة ١٩٣٧ ، وإنتاج البليت ارتفع من ٤٦١٠ طناً سنة ١٩٢٥ إلى أكثر من ١٠٠٠٠٠ طن سنة ١٩٣٨ . ويشرف على أمر المناجم ولخصها هيئة البترول والبحث عن المعادن وهي هيئة حكومية قوية ، ودلت مباحثها على أن بالبلاد



## شاعر بني مروان

عبد أسود ، أبوه وأمه نوبيان ، نصبح له شيطانه في الشعر فلقنته أحسن للترج وأحسن التسيب ، فأفرغ مداعبه على طائفة من أنراء بني أمية وخلفائهم مثل عبد العزيز بن مروان وأخيه بشر وسليان بن عبد الملك وأخوه يزيد وهشام ، فحبوه وكسوه وأخلوا له مجلسه وأحسنوا جأزه .

قرأت جملة من أخباره في الأغاني فشغلي النظر في عاين عقله عن النظر في عاين شعره .

تناهى إلينا من سورة هذا المبد أنه كان أسود ، صدعاً ، خفيف العارضين ، نأى الحنجرة ، لم يروا قط مثله ولا أشد سواداً منه ، وتناهى إلينا من لباسه أنهم لم يروا أنى ثياباً منه ولا أحسن زياً ، كان يرى في بزة جيلة ، وكانت ثيابه في بعض الأيام قيمتها مائة دينار ، وهذا كل ما وقع إلينا من ظاهره ، وللبعض من

نكد الدنيا على هذا المبد أن يقرب قلبه على الغزو والجرير وأكثيراً والأحوص والكيت ، وذو الرمة وغيرهم ، فكان الجلو غير خال له ، سد الأفق عليه شعراء كبار ، فاستطاع بغصاحته وتخلصه إلى جيد الكلام وشعره العربي وتناهى الأبيض أن يفتح أبواب هذا الأفق ، وأن يجارى بزاعم من حوله من الشعراء ، ولكن الله تعالى اختصه بشيء آخر غير الفن ، فلم ييخل عليه مسحة من العقل ، فماش بقده جليل القدر في عيون الأمراء والخلفاء وعاش بقله راشد الأمر في دنياه .

هذا المبد نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان . أول آية من آيات عقله أنه لما قال الشعر كان شاباً ، فأعجبه قوله وهذا شأن كل شاعر في صدر أمره ، ولكن نصيباً لم تنزه هذه الفتنة ، فقد خاف أن يعرض على الناس شعره فيسخرؤا منه ، إما لأنه عبد أسود ليس له هبة في

العيون ، وإما لأن الناس لا يعجبهم من شعره ما يعجبه ، فالحيلة ، وهو يريد أن يعرف مبلغ شعره من القلوب ؟ كان يأتي مشبعة من مواليه وينشدهم القصيدة من شعره ثم يلبسها إلى بعض شعراتهم الماشين ، فإن استحسنتوها فشط إلى الشعر وإن استحقوها كلف عنه ، ومن عاين حظه أن الشيوخ الذين كان يأنسهم كانوا أصحاب ذوق سليم في الشعر ، فكانوا يقولون له : أحسنت ! هكذا يكون الكلام ، وهكذا يكون الشعر ! فنشأت بهذا القول ثقة بنفسه ، وطفاً بثقة إلى شعره ، ولكنه على الرغم من هذه الثقة كان الشك يخاطره في شعره ، فلا بد له من الرجوع إلى غير من رجح إليهم ، فلم ير من حوله أنصيح له من أخوته أمامة ، قال لها : أي أخيه ! إني قد قلت شعراً وأنا أريد عبد العزيز بن مروان ، وأرجو أن يعفك الله به وأنت ! ومن كان مرفوعاً من أهل قرايتي ، إلا أن أخوته كانت قلة قليلة ، فلم يجعل فيها هذا الكلام وخافت على أخيه الشاعر ، فقالت له : إنا لله وإنا إليه راجعون ! يا أي أم ! أنت عظيم المخلصان : السواد وأن تكون صالحة للناس ! فلم يجد نصيب مندوحة له بعد هذا الكلام عن أن يسميها شعره ، فلما أنشدها وضمت هذا الشعر استحسنته وقالت له : بأي أنت ! أحسنت والله ، في هذا رجاء ، فخرج على بركة الله .

خرج نصيب على قومود حتى قدم المدينة فوجد بها الفرزدق في المسجد ، فمرح إليه ، لأنه لا يزال أثر من الشك في قلبه على الرغم من نصيحة الشيوخ ونصيحة أخوته ، فلا بد من معرفة رأي الفرزدق في شعره ، فمرح إلى الفرزدق وعرض عليه شعره ، فقال له الفرزدق : ويحك ! أعذا شعرك الذي تطلب به الكوك ، قال : نعم ! قال الفرزدق : قلت في شيء ، إن استطعت أن تسكت هذا على نفسك فافعل .

كيف كانت حالة نصيب بعد سماع هذه الشهادة ، انفضح السكين عرفاً ، وانكسر قلبه ، ولكن الله

الخلقاء، أو غير ذلك ، وإنما كان يكفيه من هذه الدنيا عيش نامر وفكر هادي ؟ وأية نعمة أعظم من هذه النعمة ! فقد دخل على عبد الملك فتشذى معه ، ثم قال له عبد الملك : هل لك في تشادهم عليه ؟ فقال نصيب : تؤمنني فقل ، فقال : لو في حائل وشعري مغفل ، وخلقني مشوعة ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياي بشرق أب أو أم أو عشيرة ، وإنما بلغتني بعقل ولساني ، فأنتدك الله يا أمير المؤمنين ألا تقول بيني وبين ما بلغت به هذه النحلة منك فأعزاء عبد الملك .

وكما عرف قدره في باب الأعراء والخلقاء عرف قدره في أموره كلها فلم يخرج عنه ، فقد كان له ابن خطب بعد وفاة سيده الذي أحقه بنتاً له من أخيه فأجابه إلى ذلك وعرف أباه نصيباً ، فقال له نصيب : اجتمع وجوه الحى لهذا الحال ، فجمعهم ، فلما حضروا أقبل نصيب على أخى سيده فقال : تزوجت ابني هذا من ابنة أخيك ؟ فقال : نعم ، فقال نصيب لمبيد له سود : خذوا مروان وحضر بابه مع الناس فلا بد لكم من أن تخرجوه ويطردوه من الباب ويتحوه عن مجلس الوجوه حتى يكون وراهم ، وإذا دخل على عبد العزيز بن مروان فلا بد لعبد العزيز من أن يصديه بصره ويصوبه ، ثم يأمر بالسرى فيبرز للناس ويدعو بالأسود وهو يريد أن يضحك منه الناس ، فسكان نصيباً كان يحسن بهذا كله ، فلم يشأ الإقدام على الإنشاد قبل التوثق من جودة شعره ، وقد هيا الله له أمراء بني أمية وخلفاءهم ، فعرفوا قدره وميزلته فبازحهم الفرزدق وكثيراً ، ولينفذ الكهيت وذو الرمة .

ولحق دله عقله على التوثق من بده اللجاج في الحياة ففقد دله هذا العقل على الرشد في الحياة كلها حتى استمر نجاحه من أول أمره إلى خاتمه . وكأنه كان يشعر بحسن عقله فمن قدره ولم يتدنّ حدّه ، فقد نظر إلى الحياة نظرة الفيلسوف الذي لا يطلب فيها إلا هدوء البال ، فلم تنزع به همته إلى شيء من مناصب الدنيا ، مثل منادمة

ما أراد أن يحو اسم نصيب من الشعراء والمثلاء ، فقد حصيه رجل من قرأى كان قريباً من الفرزدق وقد سمع إنشاده وسمع ما قاله له الفرزدق ، فأولمأ إليه ، فقام إليه نصيب ، فقال له الرجل : ويحك ! أهذا شعرك الذي أفتدته الفرزدق ، قال : نعم ! فقال : قد والله أصبت ! والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك ، فأبانه عرف بحاسن الشعر ، فادس لوجهك ولا يكسرنك !

يعلم الله مقدار السرور الذي دخل على قلب نصيب بعد كلام هذا القرشي ، لقد اقطع كل قلن سبي بشعره بعد هذا الكلام ، ووفرت في نفسه ثقله بشعره ، فليس له بعد تسكامل هذه الثقة إلا الخروج إلى الأعراء والخلقاء وإفراغ الدائع عليهم .

أجل ، هذا أول مظهر من مظاهر عقله ، لم يتهور نصيب في فاتحة حياته ، وإنما استعمل عقله ورعاً فحيط في استعمال هذا العقل ، ولكن السكين لم يفرط عتياً ، فسكانه كان يعلم أنه إذا قدم مصر لمحض عبد العزيز بن مروان وحضر بابه مع الناس فلا بد لكم من أن تخرجوه ويطردوه من الباب ويتحوه عن مجلس الوجوه حتى يكون وراهم ، وإذا دخل على عبد العزيز بن مروان فلا بد لعبد العزيز من أن يصديه بصره ويصوبه ، ثم يأمر بالسرى فيبرز للناس ويدعو بالأسود وهو يريد أن يضحك منه الناس ، فسكان نصيباً كان يحسن بهذا كله ، فلم يشأ الإقدام على الإنشاد قبل التوثق من جودة شعره ، وقد هيا الله له أمراء بني أمية وخلفاءهم ، فعرفوا قدره وميزلته فبازحهم الفرزدق وكثيراً ، ولينفذ الكهيت وذو الرمة .

ولحق دله عقله على التوثق من بده اللجاج في الحياة ففقد دله هذا العقل على الرشد في الحياة كلها حتى استمر نجاحه من أول أمره إلى خاتمه . وكأنه كان يشعر بحسن عقله فمن قدره ولم يتدنّ حدّه ، فقد نظر إلى الحياة نظرة الفيلسوف الذي لا يطلب فيها إلا هدوء البال ، فلم تنزع به همته إلى شيء من مناصب الدنيا ، مثل منادمة

ولم تظهر أمارات عقله في تصرفاته وحدها ولكنها ظهرت في جوارحه أيضاً ، وإني الحق قادمًا من الشام في برقة جميلة ، فدخل على صديق له وهو يأكل مع جماعة فيهم كثير ، فدعوا نصيباً إلى الغداء فأكل مع القوم ، فرفع كثير يده وأقلع عن الطعام ، وأقبل القوم جميعاً على

## ضغط الدم

مزمري وليس تحرير مجلة الثقافة :

جاء في عدد «الثقافة» الماضي تحت العنوان المتقدم ، وهو بنبر إسماء ، ما يلي :

«ولسكن إنسان ضغطاً دمه يؤخذ أحدهما حين يضرب القلب بأقصى قوته ، وهذا يقرب من عمر الإنسان مضاعفاً إليه مائة ، أي يكون ١٤٠ لن عمره ٤٠ سنة . . . أما الآخر فيؤخذ حين يسترخى الرء ، ويستريح القلب إلى ٨٠ . وأظن أن العوالم فيما كتبت كاليك الكريم هو عالمي : إن دم الإنسان له دفعا شيطان ، ولكلها ليس على ما وصفتهم ، فهذان الشيطان واقعان مثلاً في كل دقة من دقات القلب ، فالقلب ينقبض فيدفع الدم في الجسم فيزد ضغطه في الشرايين فيبلغ مثلاً ١٢٠ ، ومعنى هذا ١٢٠ مليمتراً من الزئبق فوق الضغط الجوي . ثم يعود القلب فينبسط فيقل الضغط في الشرايين ، كأن يبلغ مثلاً ٨٠ ، ومعنى هذا أنه ينخفض عن الزئبق فوق الضغط الجوي . ويسمى الضغط الأول وهو الأكبر ضغط الدم الانقباضي systolic ، ويسمى الضغط الثاني وهو الأصغر ضغط الدم الانبساطي Diastolic . وهذان الشيطان يتناوبان باستمرار في الدقيقة الواحدة عدداً من المرات ككبد دقات القلب ، وهما واقعان على أي حال كان الإنسان ، صحاً أو مريضاً ، جاعاً أو شبع ، استراح أو تعب ، تصلب أو استرخى .

كثير يسألونه أن يaskell ، فأبي ، فتركوه ، وأفضل كثير على حسب فقال له : والله يأبى حين إن أترأهل الشام عليك لحيل ، لقد رجعت هذه السكره طاهر السكر ، فليل الحياه . فقال له سيب : لكن أتر الحجاز عليك يأبى منظر غير جميل ، وإنك لثابت النفس ، كثير الحياه !

وقال له مسلمة يوماً : أنت لا تحسن الحياء ، فقال : لي والله ، أترأى لا أحسن أن أحمل مكان : فاطمة الله ، أخر الله ، قال : فإن فلاناً قد مدحتك خرمك فاحبه ، قال : لا والله ، ما ينبغي أن أهجوه ، وإنما ينبغي أن أهجو نفسي حين مدحتي ، فقال مسلمة : هذا والله أشد من الحياء .

ومن كانت هكذا جواباته فلا خوف عليه إذا عبروه العبودية ، فإنه يعرف كيف يدفع كلامهم ، وقال قائل له : أيها للعبد ، مالك وللشعر ؟ فقال : أما فذلك زعيم ، فما ولدت إلا وأنا حر ، ولكن أهلي ظالمون فباعوني ، وأما السواد فأنا الذي أقول .

ولأنك حال كذا لوني فأبى .

هذا يسير من عقل تصيب ، شاعر بني مروان ، فهل بلغ كثير منا معاشر البشائن من جودة التصرف في العمل وفي القول مايلفه هذا المبد ، أحد عقلاء السودان ! (مستق)

تشرين حير

## وزارة الدفاع الوطني

تقبل المطالعات لكتاب الساعة ١٢ يوم  
١٩٤٤/٤/١٨ عن توزيع أدوات صحية  
لمصلحة الأشغال العسكرية - والشروط  
بإدارة المستشفيات والدقود بالوزارة ونحن  
النسخة منها ٣٥٠ ملين . ٢٠٤٧

ساعة الدفاع الوطني

رئيس مجلة الثقافة والترجمة والتحرير

أحمد أمين بك

رئيس التحرير

محمد عبد الواسع

٢٥ في مصر واسعد

٣٧/٥ لعللة وسلفي الإزم

٦٠ في الزاكن الحاحلة حسن عدم الترم

٧٥ في المالك الحاحلة عن الماعل الترم

٦٥ ملين



## حول البترول الذاهب

عالم الدكتور أحمد زكي بك في اقتناحية العدد الماضي هذا الموضوع بأسلوب الأدب البارع فكان موقفاً كل التوفيق . وسكتنا لاحقاً أنه اقتضب الجزء الأخير من البحث الذي أطلق عليه اسم «الجانب الأقل اسوداداً» ؟ ولعله يشكرهم فيعود للبحث مرة أخرى ليبين لنا أولاً مصير أربعة أخماس البترول الذي في الآبار التي يستخرج منها الزيت في الوقت الحاضر ، هل هذا القدر القليل تنصه الرمال ، أم هو بعض من خلالها فينسل إلى عمق أخرى يستطيع الإنسان أن يتقبه إليها وينفض عليه فيها فيرقه إلى سطح الأرض ؟

كذلك لعله يوضح لنا ثانياً كيف أنه مع تطور أهل الفن احتمال وجود البترول في مساحة أكبر من نصف أرض الولايات المتحدة ، وكيف أنه مع هذا التطور قد نشأت فكرة اقتراب موارد الزيت والفوليات من الهباء تنال العكرة التي طرغ الناس منها وأكثرت في الرأي العام الخوف بل الفزع . إن الإنسان لا يستطيع أن يوفق بين هذه المخاوف وتلك التقديرات ، اللهم إلا إذا اقترعنا أن تلك الصيغة العالية المتلذذة بفناء الزيت كانت بمثابة رعاية سياسية ، تتخذ تكتل الإدارة بالاحتلال على زيت بلاد العرب واستثماره .

ومهما يكن من أمر فإن البحث وراء الزيت في نصف أرض الولايات المتحدة ، وبمحاولة استرداد أربعة أخماس الزيت التي التهمتها الرمال في الآبار الحالية ، كل هذا ستكلف مخقات طائلة ، وسيكون من أثره أن الزيت الذي سيستخرج بهذه التكلفة سيكون أغلى ثمناً ، كما أن الزيت الوجود في الآبار الحالية سيرتفع سعره كما نصب سميته واقترعت نهايته .

أفلا يكون جذراً بالعالم في مثل هذه الحالة أن يعبر اعتماداً لمحاولات استخراج البترول من المنتجات الزراعية ومن فضلات الحقول ومن بعض الحشائش ؟ نعم إن مثل هذه العمليات بتكلفت كثيراً مما يجعل الزيت المستخرج منها غالي الثمن إلى حد كبير ، لكن كل صناعة جديدة تكون في مبدأ أمرها عظيمة التكاليف ، فإذا هذبت وحصلت قلت تكاليفها بالتدريج ، حتى إذا وضعت موضع الإحتياج على نطاق واسع انخفض رقم التكاليف كثيراً .

وإذا كان صحيحاً أن البترين الصناعي يكلف ألمانيا أربعة أمثال ما يكلفه البترين المستخرج من الآبار الطبيعية ، فإن الوقت يكون لدينا بالأمل ذلك لأن المواد التي تستخدمها ألمانيا هي وأجبر العامل فيها كثرة النجاسة بحيث لو أجريت نفس العمليات في غيرها من البلدان ( كالإيران الشرقية ) حيث المواد الخام وخصبة وأجور العمال أقله لكانت تكاليف الإنتاج تنهد إلى حد كبير .

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نرى أن قاصر على ألمانيا ، بل إن هناك في الولايات المتحدة محاولات عدة لهذا الغرض ، وقد قرأنا أن بحوثاً تجري في هذا الصدد تعتمد كمر ليحي التحكمتولوجي على يد الأستاذ الدكتور إيرفست بيرل ، فهناك تحت مياه مينسبرج الضخمة بالبحر استطلاع هذا العالم ، الذي كمل الشيب وأسه ، أن يحاكى الطبيعة ، وأن يحدث بالاستماتة بالحرارة والضغط العالي ، في ساعة واحدة ما يحدث في ملايين السنوات . وقد هيأ بذلك عمليات تمكن الإنسان من الحصول على ما يريد من الجاسولين باستخدام المحاصيل الزائدة على الحاجة وبعض الأعشاب ، وجميع فضلات النيط بل أية مادة تحتوي الكاربوايدرات .

أفلا يرى الدكتور أحمد زكي بك أن هذه العمليات التي يجربها الدكتور بيرل وأمثاله في الولايات المتحدة ، والعمليات التي يستخدمها الألمان في استخراج البترول

## مخلفات الخشب

إن المنتجات الخشبية أرى الأثاث والأدوات وغيرها من الآتية المتنوعة من الخشب لا تتجاوز في مقدارها ثلث الخشب المكون للأشجار التي قطعت لتصنع منها تلك المواد الخشبية ، أما الثلثان الباقيان فيضيعان هدرا وبذعيان هباء في السحابة (التشريد) وفي النشارة والسوسة ، وفي القشع الصغيرة التي تختلف في الأقطار ، وعند تشكيل الخشب على الصورة المطلوبة ، إلى غير ذلك .

وقد كانت أغلبية هذه المخلفات لا يتفقد بها إلا في الحريق في بعض المصانع والأفران بسبب شحلة . أما الباقي فكانت تضيق به مصانع الخشب فرموا به في حرقه حفرا وأمرانا خاصة تشتعل ليل وهبها وتصنع الصنع من هذا الحطب الثقيل .

من المضحك ، أملا يرى في ذلك كبرياء بعض المزارعين على ما يهدد الصالح من فطخ في روث الوفود ؟ بل ويضج لنا ، نحن البلاد الزراعية بسعة خاصة ، سوقا جديدة مريحة لتصريف جميع الفضلات الزراعية وما أكثرها عددا .

وهل لنا أن نؤمل حقا في أنه سيأتي علينا حين من الدهر يدخل الرذفيه إلى العمل يحمل قدام الأمتاب ؟ فيخرج منه قدر من الجاسوسين ؟ وإذا حدث هذا بالفعل فبلا يكون فيه شيء من محاولات مد الأنابيب الزيتية عبر القارات ، ونحب ما تسبب هذه العمليات من صراع دول عنيف ، على مسرح الدبلوماسية العنيفة ومن وراء الكواليس على أيدي ممثل الدول المظلم ؟

لنشا ننظر من الدكتور أحمد زكي بك بكلمة شافية في هذا الصدد .

أ . ي

أما اليوم فقد تفتحت المجال وأصبحت تلك الفضلات الخشبية على جانب مقيم من الأهمية ، وقبل بالتدريج ما يجرى منها ، وأصبحت تستخدم في المصانع وتستعمل إلى مواد نافعة كاستنبتة بعد ، بحيث أصبح استخدام مثل تلك الفضلات في الحريق ، حتى في مصانع الخشب نفسها ، سفها اقتصاديا ، ولذا تفضل هذه المصانع أن تشتري وقودا آخر لتشتفع بذلك المخلفات الخشبية انشاما بدرا عليها ربما واغرا .

خذ مثلا تلك النشارة التي يستعمل إليها نحو ١٣٪ من الكتلة الخشبية التي تنولى قطعها ونشرها الآلات الخاصة لذلك ، هذه النشارة التي كان رآكها بصادق مصانع الخشب كالأغصان وقد اكتشفت لها استعمالات قيمة ، فبها يمكن صنع حامض الأكساليك ، وحامض الخليك ، والكحول المثل ، والأكثيل ، وسكر الخشب .

هذا الخشب يلقى في إنتاج سكر الخشب والكحول بغيره ، وبغيره عدة عمليات صناعة لاستخراج هائلها المادتين من نشارة الخشب وغيرها من متعلقاتها ، وقد تقدمت هذه العمليات في ألمانيا منذ الحرب العالمية الماضية حتى أصبحت من مقومات الإنتاج لمادتين المادتين فيها . وقد فر كثير من رجال تلك الصناعة من ألمانيا وبلشوا إلى الولايات المتحدة حيث وضعوا تجارتهم تحت تصرف البلاد التي أووأت إليها . ومن هذه الطرق والعمليات ما نشأ في الولايات المتحدة من أول الأمر وكارث . محل دراسة وتعليم وإهمال .

خذ مثلا آخر النحاء (التشريد) فلم يكن يعرف أحد له قيمة القم إلا استخدام بعض أنواعه من فروع الزمان في استخراج الفصص الستميل في البذرة ، وفيها عدا ذلك كان يلقى به في المصانع ، إلا أنه منذ عامين أو ثلاثة تنظر رجال أحد رجال صناعة الخشب الأمر في كاليفورنيا أن يستخدم

كثيرة متراكمة ، تكون في الغالب على شكل قوالب أسطوانية قطرها نحو أربع بوصات ، وطولها نحو ١٢ بوصة ، تستخدم وقودا جيدا في موائد التدفئة بالمنازل وموائد الطبخ وغيرها ، بدلا من الفحم ومن الخشب العادى .

وهذه القوالب تتأثر بسهولة بتناولها ونظافتها ، وقلة الرماد المتخلف عن احتراقها ، ويصدر عن الرطل منها من الحرارة ما يتبلغ قيمته ما بين ٨٠٠٠ و ١٠٠٠٠ من الوحدات الحرارية ( B. T. U. ) . والولايات المتحدة عدة مصانع لهذه القوالب ، وعليها طلب كثير ، لأن الناس تنهات على استخدامها المزاياها تلك .

وفي عملية أخرى يحول الخشب وفضلاته بالضغط إلى أنواع مختلفة صلبة جامدة قوية تستخدم في البناء ، وتستخدم منها سلاسل ملايين من الأقدام الرمية ، وأغلبها مع حبيبات الدبال ، وإن كان من المفضل لم الطبقات منها مواد صلبة ، حتى تتكون التبرائح المطلوبة من أي صلب زياد .

وهذه العملية بدأت كثيرها من العمليات بقصد استخدام التخلفات العادية التي كانت تتراكم في المصانع ، التي تشتغل في حطب الصنوبر ، ولسكنها قد اتسمت الآن اتساعا عظيما ، بحيث يجب لها الخشب المسام بدلا من الانحصار على خلافه ، ولذلك فإن أصحاب تلك المصانع يطلبون ويشجعون زرع النباتات ليضمتوا على الغوام موارد خشبية لصناعتهم .

وفي هذه العملية أيضا يفتت الخشب قطعاً صغيرة ، وهذه القطع تعرض لقرصة بواسطة ضغط البخار (البائع ١٠٠٠ رطل على البوصة الرمية) فيجلبها إلى ألياف رفيعة متناثرة ، تنظف وتكرس ، ثم تكبس تحت تأثير الحرارة والضغط فتتجهول إلى شرائح أو صفائح كما قدمنا .

لحاء هذا الخشب في صنع مادة عازلة ، وسفر لذلك بعض الباحثين من الكيميائيين لبحثهم له غرضه ، وقد ابتكروا بالفعل عملية ينتجون بواسطتها هذا اللحاء والقرصة وتم لهم بها ما أرادوا تحقيقه .

إلا أن الطريق في السائلة أنهم حصلوا بصفة عرضية غير متوقعة على نتائج أخرى أخرى ، وهو المصنف قد تمكن استخداما في النسيج ، وقد غسخت عينات القماش الذي أُنسجنت لإنتاجه بمخاط هذه الألياف القشرية مع بعض أنواع الصوف بنسبة تتراوح بين ١٥ إلى ٥٠ في المائة من الأول وبين ٧٥ و ٥٠ في المائة من الثاني — غسخت هذه العينات فوجدت من حيث النقاء كالنسوجات الصوفية الخاصة ، وهي ممتازة وخمسة منها ، وقضاةمت الحكومة الأمريكية بهذه النتيجة أكبر اهتمام لتستعين بها في حل مشكلة كساء الملايين من جنود الجيش .

ومع ما هو جدير بالانتباه أن الخشب الخالص الذي نتجته أمريكا الشمالية والجنوبية سنويا يبلغ نحو ١٠٠ مليون ونصف مليون من الأقدام ، بينما إذا استخرجت الألياف المحتالمة التي يجنوها كل الخشب الآخر الذي يستخدم في صنع الأنواع الخشبية ، وحولت إلى نسيج فإنها تضيق إلى مادة النسيج الخالص بأمريكا سنويا ما لا يقل عن ١٢٠ مليوناً من الأقدام .

هذا من تحويل متخلفات الخشب إلى مواد أخرى قيمة . وهناك طرق عملية أكثر لتلافي الخشب من غير تحويل في مادته ، وإنما بإحداث تحويل في مسوونه بواسطة الضغط العالي .

ففي إحدى هذه العمليات تسحق النشارة والمخاضة والقطع الصغيرة حتى تصير مسحوقا ناعما يمزج به بطريقة ميكانيكية في جهاز يبرسه لضغط يبلغ نحو مئتين ألف رطل على البوصة الرمية ، فيحيل هذا المسحوق الناعم إلى



## من منبر الشرق :

### كتابة العصا

فلتستأنف حديثنا من منبر الشرق . . . بعد فترة طويلة .

إلى حضرة الأستاذ الجليل الدكتور عبد الوهاب عزلم المحترم .

سيدى وستدى :

لعمري قد راعيتي المحاضرة التي أقيمتوها في الجمعية الجغرافية أخيراً عن نشأة الخط العربي وتاريخه وتطوره أثناء المصور الإسلامية ، وكتم آسفي أن ظروفنا حالت بيني وبين حضور محاضرتكم الثانية التي كان أعزيتكم فيها عن إعانتكم الوثيق بتفوق الخط العربي على الخط اللاتيني للعبارة عن مزايا اللغة العربية من جهة ، وسلاصتها للإصلاح في وجهه وشكله من جهة أخرى . وليس مستغرباً أن هاتين المحاضرتين تقعان في هكذا الأسابيع التي تنوز فيها المناقشة في جميع المحافل والندوات حول مشروع تعرض على هيئة علمية ذات وقار في إبدال الخط العربي بالخط اللاتيني ، أو على الأقل يخط بمعالج الحركات معالجة الحروف بوضع تلك على مستوى هذه ، على غير ما هي عليه في الخط العربي خاصة وفي الخطوط السامية عامة ، حيث تكون قسبة الحرف إلى الحركة فيها كقسبة الجسم إلى النفس . ولا ينسج هنا القمام لدخول في هذه المناقشة .

قد سردتم في محاضرتكم الأولى الأطوار المختلفة التي مرت بها الكتابة الإنسانية قبل أن تصل إلى الخط الأبجدي أو خط الحروف ، وأظهرتم ما كان في ابتكار خط الحروف من العبقرية ، إذ أنقذ تسجيل اللغات المختلفة بل أكثرها من أيدي الكهنة الأفراد أصحاب أسرار وخدع المخارق ، وأداء صالحه للاحتفال تحت قلم كل من أحسن نيته في تسلّم ثلاثين علامة كتابية فأقل ، ونهبت عند ذلك

إلى الآثار الكتابية القديمة التي كشفت عنها حفائر الحافرين ، والتي وسعت معرفتها بل حل رموزها نطاق فكر الإنسانية بأكملها . ذكرتم الخطوط الفونيقية وما اشتق منها من الأبجديات الآرامية فالسريانية فالتركية القديمة فالسنسكريتية فالفارسية القديمة والموسيلة ، هذا إلى الشرق ، وأما إلى الغرب فالرومانية وبمدها اللاتينية ، ومنها كل الخطوط الغربية الحديثة . فكان ابتكار مبتكر وحيد فتح العالم بمخادفه ، وأهدى إلى الإنسانية جماء آفة تعرب بها عن أفكارها وأحلامها .

وأذكرتم بهذه المناسبة ما أورد أصحاب الأثنولوجيا — أو كما أردت أن أسميهم أصحاب البياض الشعبية القبائلية — من القصص العريقة في شأن ما يدعى عندكم كتابة العصا ، تلك الكتابة السرية التي يقال عنها إنها تستعمل إلى اليوم عند بعض القبائل في قلب إفريقيا أو أمريكا . فبعدد ما أن تلف عصا الراعي بسبور من الجلد وتلاصقه بالأسنان ، يضربها ببعض ، حتى تسكو العصا عصاه ، ثم يكتب عليها ما يقصد به بإخبار الغير ، ثم تزل تلك السبور عن العصا ، ولا تزل إلى وضعها الأول إلا عند وصول الرسول إلى من يؤدي إليه رسالته السرية . هكذا قول أصحاب الأثنولوجيا ، وفي الحديث لا شك طرافة ، ولكن أطرف من هذا أن أجدادكم من أدياء العرب قد عرفوا كتابة العصا حق معرفتها ، ووصفوها وصفاً ليس وراءه من دقة .

قد أتيجت لي الفرصة مراراً أن أتحدث عن كتاب « التنبيه على حدوث التصحيف » لأبي عبد الله حمزة بن الحسن الإسماعيلي ، وأن أنقل منه بعض النصوص ، ولا سيما تلك النصوص التي يتكلم صاحبها فيها عن الحروف العربية وأخطارها وجلباتها إلى الإصلاح ، وعن حطوط سائر الأمم من الحبشية والفارسية والعبرية والسريانية واليونانية والرومية ( كندا ) والقطبية والبربرية والأشيشية

ما يطالب العامل به . وإذا فرغ من الكتابة سلت المسامير وكشف ذلك السير من العصا ، فكان لا يبين منها إلا بقعة متفرقة ، ثم يلف السير ويجعل كالطبق ويقال للقيح أو السكاري : إذا زلت منزلاً فضع طمامك عليه ليوم أنه طبق طمامك . فيكون هذا دأب الرسول إلى أن يبلغ إلى حضرة المكتوب إليه ، فينبذ رد لف السير على العصا كما كان رسم به ، بأن يجعل الثقب التي في السير تجاه الثقب التي في العصا ويشد المسامير في الثقب ، ثم يضعها عند المكتوب إليه . فهذا هو الكتاب الذي إذا طوى وضعه بعضه إلى بعض أمكنت قرأته ، وإلى قدر زالت سورته ، فتمشورت قرأته .

« ثم سألت عنها أحد بن علي البرقي <sup>(١)</sup> المتكلم فقال : نعم هذا صحيح ، وأخذ درجا من الكاغذ بين يدي فكسر منه شيئا بورتين وضم أثناء بعضها إلى بعض ، ثم كتب عليه شيئا يقرأ ثم نشره وبسطه ، فصار في كل موضع من الورق كالأعلام والقفلة ، فقال هذا هو الكتاب الذي جعله الله تعالى للذين .

« هذا الكتاب يسمى بالآلوسي » : ولم أذكر واحدا من المتبينين ولا خطرا لي بالآلوسي مرور بصحاف عتده مجلد فنظرت إلى حروف الأوراق المبسوحة بالسيف وقد كتب عليه كتاب كذا وكذا ... فكان هذا يقرأ مادام مضطفا ، فإذا نشر وتباينت الأوراق صارت الكتابة كالقفلة والعلامة في حروف الورق فهذا الذي أردت » . فهذا الذي أردته . وإليه كتاب حمزة وفق يثابة ناشر له حسب المخطوطات العديدة التي مردها في « الثقافة » عدد ٢٢٣ ، لأنه لا يمكن استيعاب الثروة الثقافية والعلمية التي يحويها في مقالات وجيزة من مدير الشرق .

أرجو أن تكونوا راضين النفس معانئ الضمير موفوري العافية . ونفضلوا بقبول أصدق تحياتي وأطيب آماني .  
بارك كراوس

(١) من يتكلم في اللغة للعصوين .

والهندية والصينية شارحا كل واحد منهم على سعة ملاحظته ومعرفة أهل زمانه .

ونقلت أيضا من كتاب حمزة ذلك الاقتراح الرائع الذي أورد به باسم معاصره أحد بن الطبيب السرجسي تلميذ السكندري في إصلاح الخط العربي حتى يصبح صالحا لتجويد التصديق أولا ، وللمعارة عن أساليب اللغات جميعها على مختلف عمارتها ثانيا . وقد أورد حمزة بهذه المناسبة وصفه اللطيف لما صيغته وسماه هو كتابة العصا ، مما يدلنا على أن هذه الكتابة السريفة ليس حيزها ودائرة استعمالها بعض القبايل الهمججية حديثا ، بل كان استعمالها شائعا عند القروس القدماء وأساسا من أسس إدارتهم للبلادهم .

قال حمزة : « . . . وكانت للفرس كتابة أخرى تسمى كتابة العصا كحاها السلفاني <sup>(٢)</sup> ولم يعرفها القوكلني <sup>(٣)</sup> فسمعت بكرا الأفيديسي يقول : سألت السلفاني عن معنى هذين البيتين :

أي كتاب بالبطي نعرفه  
والنشر مما يزيل صورته

فقال : هذا نعم كتابة العصا بالآلوسي كتابة للفرس ، يودعها الأسرار التي يطالب بها خواص محامليها في بلدان أعمالها . ولم يكن يخط بعداد ولا يجرى حواء ، وإنما كان يعتمد إلى جلد أبيض فيقيد منه سيرا طويلا ثم يعمد إلى عصا القيقج <sup>(٤)</sup> أو السكاري ، فيلف السير عليها ويضم حروف السير بعضها إلى بعض ، ثم يدعو بمسامير فتركب في سير على العصا كي يتأسسك ، ثم يكتب عليه .

(١) هو أبو جعفر محمد بن علي السلفاني المعروف بابن العذار الكاتب من غلاة الشيعة الذي سلب في سنة ٣٢٢ وكان من أصحاب ابن أبي العزول الكاتب القهصور صاحب كتاب « التشبيهات الشريفة » راجع عنه معجم الأدباء ج ١ ص ٢٦٦ وما يليها وكذلك فهرست ابن النديم .

(٢) هو زرادشت بن أوزر تور المعروف بالبول المتوكل الذي كتب عنه في « الثقافة » عدد ٢٢ متبعا على كتاب التصديق لمحة الأسهلان وغيره من المصادر .

(٣) كلمة فارسية معربة أصلها باذق ، أو يذق أي الماشي أو الجندي .

اتساق إليه أبوه وجده من قبل في سبيل السيادة والملك ؟ ولم ير بأساً في سبيل تحقيق أمانيه أن يقاتل ملك فشتاله على إخوانه المسلمين ، وأن يتعهد له بدفع الجزية ؟ وكان ملك فشتاله يرمي أميرا وافر العزم والذهاء هو القوسو السادس ، وكان يعمل بكل ما وسع القوسو والتفريق بين الأمراء المسلمين ، ويؤبب بعضهم على بعض ولا يرضى على حلفائه منهم بوعده وتأييده ؟ وكان للمتمد بن عباد ، يرى في جبهة بني ذي النون أمرا ، طليعة أشد خصومه خطرا عليه ، ويسعى جهده إلى إسقاطهم وسحق دولتهم ؟ وقد أثبت بينه وبين يحيى بن ذي النون اللقب بالمأمون عدة وقائع وموقعة ، فقد التمدد خلالها قرطبة وقتل بها ولده سراج الدولة ، ثم عاد فاستردها ، وهو يضطرم وجدا وحفا ، ووسع الانتقام من بني ذي النون بأي الوسائل ، ولما بقي المأمون ، وخلفه ولده الضعيف القادر ، انتهر المتمد هذه الفرصة فلما أوصى طليعة واستولى على كثير من أملاكه ، حتى أحاط بفتح بهذا النصر الجارف ؟ وكان جل همه أن يستعين بمملكة بني ذي النون حتى يفسدوا له الجوف في سبيل الأندلس وفي ثغوفه ؟ ولم يكن يحول دون ثابته سوى تحالف بني ذي النون مع ملك فشتاله . وكان القوسو السادس بالرغم من صداقته الظاهرة لبني ذي النون ، الذينعاونوه وأكرموا وعادته أيام محنته ، حينما هزمه أخوه سانشو ، واستولى على مملكته قبل ذلك بأعوام ، يصمم لهم في الواقع أن يثبت اليأس ، ويضطلع إلى التراجع لمملكته المتداعية ، ولم يكن يمتحن في ذلك سوى مبارأة ابن عباد وخصومته وعلى ذلك فقد سعى المتمد إلى التغامر مع ملك فشتاله ، وأوفد إليه وزيره لشهير ابن عمار ، وقد كان يرمي أربع ساسة الأندلس ، لقباصته ، وفقدت بين المسلمين حيلة سرية ، نهض فيها القوسو بمعاونة المتمد على محاربة خصومه من الأمراء المسلمين أو النصارى ، ونهض المتمد من جانبه بأن يترك القوسو حرا في محاربة طليعة والاستيلاء عليها ، وأن يؤدي له حصة الخسوع ؟

## سقوط مملكة إشبيلية

### ومحنة بني عباد

لما ساربت دعائم الخلافة الأموية بالأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري ، وقعت على أعقابها دول العلويين كانت دولة بني عباد في إشبيلية أقوى الدول الجديدة وأصلحها شأنًا ، وكان أمراء العلويين في شفاق مستمر ، يقابلون بعضهم بعضًا ، ويتفرع القوي منهم أملاك الضعيف ، وبمخالفون النصارى بعضهم على بعض ؟ وكان الأمراء النصارى يرمون بهذه الفرص للتفريق بين الأمراء المسلمين ، وإسمافت شوكتهم ، نعم بإخضاعهم والتراجع أراضيهم تباعا ، ولم يشد بنو عباد من هذه السياسة الخطرة ، فقام حميد ومؤسس دولتهم القاضي أبو القاسم عبد بن إسماعيل بن عباد في إشبيلية ، أنشئت أسماهم إلى محاربة جيرانهم المسلمين والتراجع ما كان لهم ، وقد نشأ أبو القاسم ، ومن بعده ولده أبو عمر من آل النضر ، استلم بالله ، في سلسلة من الحروب العاصفة مع أمراء غرناطة ومالقة وقرطبة أنهت إشبيلية بني عباد على قرطبة وقرونة واسترجة وما حولها من الأراضي ، وانضمت بذلك مملكة إشبيلية وغدت أعظم قوة في جنوبي الأندلس .

وخلف المتمد بالله ولده أبو القاسم بعد ( سنة ٥٦٦هـ ) ، وتلقب بالمتمد على الله والظاهر يحول الله ؟ وكان المتمد من أعظم ملوك العلويين لما لم يكن أعظمهم جبرًا ، وقد اشتهر بخلافة الباهرة من البهاة والشجاعة والفراسة والجاد والبلوغ ، كما اشتهر بجمع أدبه ورائع نظامه ، وكما اشتهر بحسنه وخافته للواسة ؟ وفي هذه سطعت مملكة إشبيلية وكادت تبتدئ بهاها ونظامه بلاطها عند قرطبة القاصد

ولكن هذا البناء الحبل كان يشاء كدم الشقاق التصريح الإمارات الإسلامية ؟ وكان المتمد بالرغم من ذلك وقطنته يرى نفسه مضطرا إلى سلوك نفس الشجر الخطر الذي



الفرقان في « الزلافة » ، فهزم النصارى هزيمة فادحة ، وكانت من أيام الإسلام الشهودة (٢٧٩ هـ - ١٠٨٦ م) ، وفيها استمد الإسلام حياة جديدة .

- ٢ -

وعاد يوسف إلى إفريقية بعد أن شهد أحوال الأندلس وأحوال أمرائها ، وأدرك هذا الأمير التائه الذي كان يؤثر العيش الخشن على ملاذ اللذات وتعماته ، أن الحياة الباعثة التي انتعش فيها أهل الأندلس هي التي قوضت منهم ، وفقت في وجولهم وعزائمهم ، وأن الشقاق الذي استحكم بينهم ، والذي لم ينقطع من بعد عودهم ، سوف يقضي عليهم جميعاً . لا ريب إذا تركت الأمور في مجراها ، وسوف يهدد لاستيلاء النصارى على جميع أنحاء الجزيرة في أقرب وقت ، ومن ثم فقد اعتمد أمره نحو الأندلس ونحو أمرائها المائتين الصائدين ، الترابين على اعتصاب العدو في سبيل قتال بعضهم بعضاً .

ولما سار يوسف عبر يوسف إلى الأندلس للمرة الثالثة بهم الجهاد ، وكان قد عين إليها من بعد الزلافة مرة أخرى ولكنه لم يتم يوسف بنزوات ذات شأن ، وازداد سخطاً على أمراء الأندلس لما بدا من تقصيرهم في نصرته . ولما عبر للمرة الثالثة كانت تحذوه نحوهم نيات خطيرة ، وساروا إلى غرناطة فاستولى عليها ، وبعت بأميرها عبيد الله بن ملكين سجيناً إلى أعماق ، ثم أتى أوامره بفتح قواعد الأندلس الأخرى ولا سيما إشبيلية إلى قائده سبر بن أبي بكر ، ولوئد إلى العدو بهجز الجيوش والإمداد . وزحفت الجيوش الرابطة على معظم قواعد الأندلس واقتصرتها نيات ، وقتل جميع أمرائها أو أسروا ، وكان بين القتل الأمير المسالم الشاعر ابن الأندلس عمر التوكل صاحب بطليوس وولده ، وسار سبر بن أبي بكر بنفسه إلى إشبيلية ، وأدرك المعتد بن عباد أنه سوف يخوض مع المرابطين معركة الحياة والموت ، فتأهب للدفاع عن ملكه وحاضرت بكل ما وسع ، واستنثت بحليقة الفونسو السادس

وتعريف الرواية النصرانية إلى ذلك أن المعتد قيل أيضاً أن يقدم إحدى بناته زوجة لملك قشتالة ، وأنها حظيت لديه فيها بعد ، ونصرت باسم الزابيث ، وأنجب منها ولداً هو سانشو الذي قتل حدثاً في موقعة « إقليش » ، وهي رواية تحمل في نظرها ضربة الإغراق والبطان<sup>(١)</sup> .

وتم لملك قشتالة ما أراد ، ولم يبق سوى قليل حتى استولى على طليطلة بعد حصار قصير (٢٧٨ هـ - ١٠٨٥ م) وانتهت بذلك مملكة بن ذي النون ، وسقط طنجع ممالك الأندلس في يد أسبانيا النصرانية ؛ وشهدت الأندلس جامدة صروعة تلك الكارثة التي تنذر بها بشر الصبر ؛ وسرعان ما أدرك المعتد بن عباد سوء تصرفه وقذاحة الخطأ الذي ارتكبه ، ذلك أن حليقة الفونسو ، ما كاد يفتح طليطلة حتى انقلب عليه يطالبه بالجزية ويطالبه بإسليم بعض الأراضي والحصون التي كانت تحت حكمه بحجة أنها تابعة لطيطة وولاء الجلائق بين الخليفتين ، وتوعد الفونسو المعتد بغير المواقف . وشعر المعتد بالحظر الذي يفرضه من جانب القديم ، وشعر أمراء الأندلس جميعاً بأن ملك قشتالة سوف يحتاج قواعدهم وأراضيهم كلها إذا لم يبادروا إلى الاتحاد والتضامن على قمع الخطر المشترك ؛ واجتمعت كلتهم على توحيد القوى والخطط ؛ بيد أنهم وأو أن قوام المعضنة لم تعد تكن وحدها لدرء الخطر ، وانهبوا بعد البحث والتشاور إلى وجوب الالتجاء إلى إخوانهم المسلمين في الضفة الأخرى من البحر ، ودهوتهم إلى اتحادهم وغوثهم . وهكذا استنثت ملوك الطوائف بإفريقية أمير المرابطين يوسف بن تاشفين الفتوفى ، وكان المرابطون يومئذ في أوج سلطانهم وقوتهم ؛ واستجاب أمير المسلمين يوسف إلى نداء أمراء الأندلس ، وعمر إليهم في جيش ضخم ، وسارت قوى الإسلام المتحدة إلى قتال الفونسو السادس ؛ والتقى

(١) حسب ما ترجمه بين الروايات الكنسية واللاتينية الأسبانية ، وقد أشار إليها المؤرخ الألماني أشياخ في كتابه : « تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين » ، وتراجع في ١ من الأصل الألماني .

فأمدد بجيش كبير ، ولكن الرابطين هزموه على مقربة من قرطبة ، واشتبك المتصد في قواته بالرابطين في عدة مواقع ، ثم ارتد إلى إشبيلية وأنتع بها لما شهد من تقوى الرابطين عليه في الشكوة والألمة ، وشهد الرابطين الحصار على إشبيلية ، وسقطت في تلك الأثناء قرطبة في يد الرابطين ، وقتل فيها المؤمن ولد المعتد مدافعاً عنها ، ثم سقطت ولدة ، وأسر فيها ولده زيد الراضي بالله ، وقتل بالأرم من اليهود التي قطعت بتأمينه ، وشعر المعتد بالأمل ينهض في نفسه شيئاً فشيئاً ، ولكنه استمر على مقاومته حتى اقتحم الرابطين إشبيلية عنوة ، وانقضوا عليها كالسيل الجارف ، بمنون فيها سفكا وغربا ، واستقبلهم المعتد في خاصته على باب قصره يدافع عن نفسه وملكه حتى نال الحطة الأخيرة ، ولكن هذه المسألة الباردة لم تكن شيئاً ، فاستولى الرابطين على المدينة ، وأسر المعتد وآله ، واحتووا على قصره وماله وشيئاً ( ٢١ ) .

سنة ٤٨٨ هـ - سبتمبر سنة ١٠٩٦ م . وهكذا سقطت ملكة بني عبد الحميد ، وحيا معها الذي استطاع منها في حال الأسر ، وملكها سقطت أية كرمه ، في مناظر من الفروسة الرائعة تخلق بالأي شادوها ، ولم تسقط قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة ، على يد حميدها الباسل . ومن الخطأ التاريخي ما ترجمه بعض الروايات من أن المعتد سلم عاصمته إلى الرابطين بالأمان عنقاً ( ٢٢ ) . والحقيقة التي تجمع عليها معظم الروايات الإسلامية ، والأندلسية بنوع خاص ، هو أن الرابطين اقتحموا إشبيلية وأخذوها عنوة في مناظر رائعة من التخريب والبك ، وأن المعتد بن عبد الحميد بسخر وسيلة في الدفاع عن نفسه وعاصمته ، وأبى ظل يدافع حتى التحفة

( ٢١ ) يتردد صاحب روض القرطاس بالقول بأن إشبيلية سلمت للرابطين بالأمان ( ص ١٠١ ) ، ولكن ابن الأثير ( ج ١ ص ٦٤ ) وابن خلكان ( ج ٢ ص ٤٠ ) وابن خلدون ( ج ٦ ص ١٨٦ ) ، والنسب بن خلدون في فتاوى الشبان ( ص ٢١ ، ٢٢ ) ، والرازي ( ج ١ ص ١٧٢ ) ، والقرطبي في فتح القليب ( ج ٢ ص ١٠٣ ) ، يقولون جميعاً على أنها أخذت عنوة . ويأخذ دونه بهذه الرواية ( ج ٢ ص ١٤٩ ، ١٥٠ طبع جديدة ) .

الأخيرة ، حتى اقتحم الأعداء قصره ، وأسروه . وقد التفت إليها في ذلك رواية شاعر عيان هو أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن الأبناء شاعر المعتد وصديقه ، فهو يصف لما في كتابه « نظم الملوك في مواضع الملوك في أخبار الدولة المهادية » مناسك سقوط إشبيلية التي شهدها بنفسه في قوله :

« إلى أن كان يوم الأحد الحادي والعشرون من رجب ، فمظلم الغلب في الأمر الواقع ، واتسع الحرق فيه على الواقع ، ودخل البلد من جهة واديه وأحيط حاضره بعاوية يابده ، بعد أن ظهر من دفاع المعتد وبأسه وتراحمه على الموت بنفسه ما لا مزيد عليه ، ولا انتهى خلق إليه ، فشتت الفلوة في البلد ، ولم يبق فيها على سيد لأحد ولا نبي ، وخرج الناس عن منازلهم يسبقون عوراهم بالامهات ، وكشفت وجوه المحدثات العذارى ، وزايت الناس سكران ، وما هم بسكران ... » ( ٢٣ )

ووصف لنا الشيخ بن حبان مؤرخ الطوائف وما امرهم تقريباً مثل المرام الأخير بين المعتد ومهاجيره في تلك الصارات القوية المؤثرة : « ولا انتشر الدمار في البلد وأوهنوا القوى والمجد ، خرج ( أي المعتد ) ، والموت يسير في الحافة ، وبصور من الفلوة وسامه ، مد بطنه ، وبارخ عند انتصاه ، فلقم في رجة القصر ، وقد شاق به قضاؤها ، ونقضت من رحمتهم أعضاؤها ، تحمل منهم حلة سيرتهم فرقة ، وملأهم فرقا ، وما زال يوالى غلبهم السكر للماد ، حتى أوردتهم البوار ، وما بهم من حواء ، وأودعهم حشاها كأنهم في قود ، ثم انصرف وقد أبش بانهاء حاله ، وذهب ملكه وإرماله ، وعاد إلى قصره ، واحتسبك به يومه وليك ، ما شاء لحدته ، دافعا للقل عن عزته ... » ( ٢٤ )

وهذا ما يؤيده شعر المعتد نفسه في وصف ذلك اليوم ( ٢٥ ) :  
( ٢٥ ) فتة فتح القليب ( ج ٢ ص ١٠٤ ) .  
( ٢٦ ) فتاوى الشبان ص ٢٢ في ترجمة المعتد بن عبد الحميد . كتب الشيخ كتابه بعد سقوط إشبيلية بنحو ثلاثين عاماً .

## أدب الأسبوع ...

« هذا رأيي وعلى تيمته وحدي ... »

حديث المال !

حديث الأدب في هذا الأسبوع هو حديث المال !  
في الصحف والمجلات ، وفي البرلمان ، وفي الأندية العامة ،  
وفي المجالس الخاصة - لم يكن للناس حديث إلا حديث  
المال . ولم يكن هذا الحديث الذي شغل الناس واستأثر  
بتفكيرهم في هذا الأسبوع ، مقصوراً على طائفة من أهل  
الرأى دون طائفة ! فقد كان له من عناية أهل الأدب  
والاجتماع مثل ماله من عناية أهل السياسة ورجال الاقتصاد ،  
واستمع الناس إلى رأى طه حسين إلى جانب ما استمعوا  
من آراء على الشنقى ، وإسماعيل صدق ، ونكرم عبيد ...  
... وكان حديث المال ، في هذه الفترة ، خلقاً جديداً  
العناية ، حقيقة عما استأثر من تفكير أهل الأدب والاجتماع  
ومن أهل السياسة ورجال الاقتصاد . لا شك أن هذا  
الشهود إذ يقول :

إن يسبب القوم العدا ملكي ونفسى الجوع  
فالقلب بين منلوقة لم تلم القلب الضلوع  
قد رمت يوم زالمهم ألا تحصى للزروع  
ورزت ليس حوى القمص من الحشاشي دفرع  
وبذلك نفسى كى تيسل إذا يسيل بها التجمع  
أحلى تأخر لم يكن بهوى ذلى والمضوع  
ما سرت قط إلى القتال وكان من أمل الرجوع  
شم الألى أما منهم والأصل تيمه الفروع  
ثم يقول لنا القبح إن العتمد لما التجأ إلى قصره  
بعد سقوط حاضرنه وتفرق جيشه ، وقد كل أمل في  
النجاة ، فكر في أن يقضى على نفسه بيده ، ولكن منعه  
من ذلك إيمانه ونجاهه ، فاستسلم إلى هوان الأسر ، وقبض  
عليه المرابطون وعلى جميع ولده ونسائه وآله .

( الكلام بدي )

محمد عبد الله غنانه

حيلة الناس ، فلم تزل لقال ملكاته مند كان ! ولكن  
لكلانة مصر ، ذلك البلد الذي يعيش ٩٧ في كل مائة من  
أهله ، مالة على ما يتصدق به ٢٠٠ ... وأنه مع ذلك لزعم  
أن له حق الحياة !

بلى ، ليس حديث المال في هذا البلد حقاً موقوفاً على  
إسماعيل صدق ، وعلى الشنقى ، وربيعة قطاوى ، وأحمد  
عبود ، والبربروى عاشور ، لأنهم وجم الذين يملكون  
المال ! فإن كل فرد من هذه الملايين التي تعيش في ذلك  
الوادى لا أكثر حقاً في التحدث عن شؤون المال من كل  
أوثاق ! لأن هذه الملايين لا تملك من المال ما تقوم به أسباب  
الحياة ، والحياة هبة الله ، فمن حق كل حى أن يتسبب لحياة !  
بلى ، وأنه إذا كان حقاً لكل فرد في هذه الأمة أن  
يتحدث عن المال ، وحسنه من المال الحديث عنه ، فإنه  
مريضاً مفروض على كل ذى رأى من أهل الأدب أو من  
أهل الاجتماع ، أن يتحدث ، وأن يكتب ، وأن يوجه  
الناس بوجهه إلى ما يرى ، حتى يتبدل المزاج وتتكلموا  
الكلمات ويستعمل كل ذى حق حقه فيها .  
هذا مقال القيادة لن يرد أن يبلغ بأتمه مبلغاً !

محمد ز. الجورج !

أرأيت إلى حديث الناس عن أخلاق هذا البلد ؟  
أعنى حديث المصريين عن أنفسهم ...  
يقولون : إن مصر ليس لها خلق عام ، فأخصبها  
فرداً فرداً تعرف لكل فرد من أهلها خلقه الذي يتماثل  
به مع الناس إن عرفت ، ولكنتك لن تعرف لهذه الأمة  
في مجموعها خلقاً عاماً تتميز به شخصيتها وتحدد بها .  
فئة الكذبة ، والزنى ، والفساد ، والوقعة ، والأثرة ،  
وما أشق أن أحصي من سيئات ! حتى لا أراى مبالغاً  
إن قلت : إنك لا تجد في جميع من تعرف من أهل هذا  
البلد اثنين يمكن أن يتعاونوا على نفع عام ، إلا أن يكون  
لكل منهما وجهه فيما يعمل فإنه لينظر من وراءه إلى  
منفعة تاله ! !

هكذا يقولون ، وإلى لأزعم أنهم صدقوا ... ولكن



السكين من خزنة الدولة لا يقبض عليه بده ، ولا ينفع به نفسه ، نفسه ؟ ولكنه رسول الأمانة ، يقبضها اليهوديا إلى أبوابها بلا أجر ولا مشقة ، ليس له منها إلا قشر المعطى ، ورضا النفس بما يعطى !

فهذه اللالين التي ترصدوا الدولة في ميزانيتها كل عام للوطنين ، ليست هي حق الوطنين على ما أدوا للدولة من عمل ، ولكنها حق أولئك اللالين من أبناء الشعب وبنائه ، وآبائه وأمهاته ، وإخوته وأخواته ؛ إنها حق أولئك اللالين من الفقراء المعدمين الذين يكفلهم الوطنون ويؤدوهم ويفرضون على أنفسهم أن يعيشوا لهم ، وأن يسدوا من أجلهم كل ما تمنحهم الدولة من أجر العمل الدائب ، والجهد الزهق والكرامة البذولة طاعة للرئيس وأصدقاء الرئيس .

بضعة وعشرون مليوناً للوطنين ! يا ! ثلث ميزانية الدولة أجور ومرتبات ! ...

أرى هؤلاء اللالين يثبتون على الرأي لو غيرت الحياة وجهها من هذا الباب من أبواب الزبانية فسمته ما كان ينبغي أن يسمى ولم تسمه « باب الأجور والمرتبات » لو سمته « باب الإغاشة والتخون » وإياه لسمك ذلك وإن اختلف العنوان !

إن من حق هؤلاء اللالين الذين يكفلهم الوطنون أن يشبعوا من جوع ، وأن يكتسبوا من عمرى ، وأن يصحوا من مرض ، وأن تؤدوهم دور صحية يستشعرون فيها طعم الحياة - من حقهم على الدولة أن تيسر لهم أسباب العيش ، وأسباب الكرامة الإنسانية ؛ ولهم على الدولة حق الوالدين الحر في الأمة الحرة ، فلم يكفلهم أولئك الذين يكفلونهم من الوطنين لكان فرضا على الدولة كمالهم ، وطعامهم ، وكسوتهم ، وما أدام ؛ فكيف يكلف الدولة هذا الواجب إن كان هؤلاء اللالين يمتدحون بحق كل مواطن على الدولة في أن تيسر له أسباب عيشه ؟ ... فليحسبوا رحمتهم ، ثم لينظروا أى التقديرين أنفع لخزنة الدولة لو حشيت الأشياء بآثارها ، أم تزام لا يمتدحون بحق هؤلاء الأحياء في الحياة !

ولكنى لا أنهم ؛ إن هذه الأمة لكرمة المدن ، وليس من طبيعتها هذه الدنبا ، ولا هي جرمة أهلها ، ولكنها جرمة الجوع !

ماذا يفعل الجائع حين لا يجد سبيلا إلى رزقه إلا أن يزلف ويثاق ، وإلا أن يوقع بين الأخوين ، وإلا أن يخطب القلمة التي تحميمه وتقيم فيه على الحياة ، وإلا أن يستذل ويستغذى ويتعبد لمن لا يستحق السيادة ؟

لست أدافع عن هذه الدنيات ، ولست أخلص العذر ، للرجل الكامل من الوقوع فيها ، ولكنى أذكر الضعف الإنساني في سواد الناس ، وفي المجموع الذي تتألف من أفراد كل جماعة تربطها رابطة الجنس أو رابطة الوطن - أذكر ذلك فأرى هذه الأمة التي حكم عليها أن تعيش في الحرمان والجوع ، ثم راحوا يبيعون على أبنائها ما يبيعون من أخلاق يبيع لهم بقعة العيش !

ثم يبيعون على أبناء هذه الأمة ما يبيعون ؛ فليمتدحوا لهم بدينا بحق الحياة ، وليجودوا عليهم بما حسبوا أنهم من رزق الله ، ثم ليمتحنوا أخلاقهم في حياض يعرفون أننى معدني صيغ هذا الشعب الكرم .

عيش الموظف :

وكان الموظف السكين هو الهدف الذي تنامي إليه النبال من حيث لا يستطيع أن يتنبأ ... فهل عرف أولئك الرامون كيف يعيش الموظف في هذه السنين وقبل هذه السنين ... وهل تستسع واحد منهم خطوة ساعة واحدة في أول يوم من الشهر الكريم ، ليمر بكم فرش يعود إلى داره في أول يوم من الشهر ، وكان منذ ساعة يملك العشرات من الجنيهات ؟ ...

وهل عرفوا كم موظفا في الدولة يعيش لنفسه فليس له أخ ولا أخت ولا أم ولا زوج ولا ولد ، كلهم يقتضيه مرتبا في أول الشهر بحق الإنسانية أكثر مما تعطيه الدولة بحق العمل الدائب ، والجهد الضئيل ، والكرامة البذولة طاعة للرئيس وأصدقاء الرئيس ؟ ...

أحسب أنهم يعرفون مستيقنين أن ما يأخذ الموظف

## توزيع الثروة :

## مركب الفقر :

وبقولون : أوليس في البلد فقراء مُعتمدون من حقهم على الدولة أن يعيشوا ، غيرُ أسرأت اللوطيين ومن يكفون من الآباء والأمهات والإخوة والأخوات ؟ على ، في البلد غير هؤلاء ، ملايين لايلبثها الإحصاء ، من الفلاحين والأجراء والعمال والفقطين من أسباب الرزق - من حقهم على الدولة كذلك أن يعيشوا ، وأن يستثمروا طعم الحياة ، وأن يخفوا عن أعناقهم آسار القتل والعبودية لعشرات ، عشرات من أصحاب الملايين لا يعرفون هم أنفسهم فيجمعون هذه الملايين ولا يفكرون في وجه من أوجه الانتفاع بها .

ولكن هؤلاء الملايين الذين لا يكفلهم موظفون في الدولة ، ولا يتألمهم كثير ولا قليل من « باب الأجور والمرتبات » - هؤلاء الملايين من المردومين لا يصح أن يكون وجودهم وكثرتهم سبباً لإلزام حرمان غيرهم ولو عسا ينسب أن تفكر الدولة منهم كذلك بولاء تقوم عليهم الأب من بنيه ؟ أنرى من حق أن أقول : ينبغي أن تقوم الدولة منهم مقام الموظف من أسرته

وإنما سبيل واحدة ، سبيل واحدة تتحقق بها العدالة الاجتماعية بين الطبقات ، أعني بين طبقتي الشعب : الطبقة التي تعمل ولا تنفق ، والطبقة التي لا تجد ما تنفق ؛ الطبقة التي تعمل كل سرائق الدولة ولا تزيد أفرادها على ٣٪ ، والطبقة التي تعدادها ٩٧٪ ولا تعمل شيئاً من أسباب الحياة ... هذه السبيل هي أن تضع الدولة نظاماً لجباية الضرائب غير نظامها ، نظاماً يجعل من حقها أن تحاسب كل ذي مال من غلته ، وعن حاجته ، وعسا يفيض ؛ نظاماً لا يفرس الضريبة على الرأس ، ولا على الغدائ ، ولكن على مقدار الغلة ، وعلى ما فوق الحاجة ؛ ليستثمر كل ذي حيلة أن له حقاً على أمته ، فلا يشره النفي ويثاله بأخذ سمار المال فيلس الحلال والحرام ، ولا يذل الفقير ويستغنى ويشتد لن لا يستحق السيادة !

ورأت موظفاً عند ميدان السباق ، في رجة الأمير ، وحيث السيد للتأثير ، وأمانة التوجيه الوارث ؛ وقال لي صاحبي الذي كنت أقص عليه من حديثي : فهذا موظف ، أراك ترعّم أن من حق مثله على الدولة أن تدق عليه ، وأن تبذل له ، وأن ترصد له ثلث ميزانية الدولة ؟ قلت : فهذا واحد !

قال : ولكني أعرف مثلاً مثله ، كاهن خفيف الظهر ، ليس وراءه ما يُعشيه أو يجعل همه ، لا تلمه بفقته أم ولا أب ولا زوجة ولا ولد ؛ بل إن منهم ذا الأب والأم ، أو ذا الزوجة والولد ، لا يلزم نفسه معاشهم وإسهم في حاجة ؛ وإنما يتفق ما يتفق مما تمنحه الدولة لشهونه وهوانه ، أو الخيانة والفقر ؛ أفن أجل هذا دفعت ؟

... ثم وسجد اللاعنون ياباً إلى القول في مرصعات اللوطيين حين يذكرون الثالث من أمثال هذا الموظف السيد : « أفن أجبك ألا أعون أنفسهم ، إن هؤلاء المتبذخين من أصحاب الثروات الذين يشترون كل ناد ، ويستعمون بكل متعم ، ويستولون حيث كان ينبغي الإمساك ، ويُحسكون حيث كان ينبغي البذل - هؤلاء المتبذخين الذين يلومون هذا الموظف وأمثاله على ما يصنعون ، ويلومون الدولة على ما تعطهم ، هم الذين رُبتوا له هذا السبيل بالقدرة ، والإغراء ؛ ألا أقول إنهم ذمّوه فأجاب ؛ ولكني أقول إنه رأى مذهبه قد ذهب ، وكان به نوع من « مركب النقص » أو « مركب الفقر » ، فأمر ؛ ولم رأى لهم سبباً إلى الجأء والسيادة غير القانون في الناس والإسراف في الزينة ، والتأثير في السوق ، والتعالي على الفقر ، لرأوا منه غير ما رأوا ...

ألا ليت هؤلاء اللاعنين السرفيين في الملاحة ، وسُوا أن يعيشوا أسبوعاً من كل عام عبثاً الموظف . إذن لكان لهم يومئذ رأى غير ما يرون اليوم . يا ليت ! قال

## امراة وملاك !

— طالب صياحك ! آتسة فريدة .. كيف أنت وعلم الأحياء ؟

— بخير يا عزيزي وأنت كيف حالك مع القانون الروماني في أزمة الرومان !

امتزجت شخصائهما وضاعت كدائرة واسعة في الممر المفضي إلى السلم الكبير في (الباسيون) الذي تديره أرمينية شطاه كزة الأنامل شحيحة ، وانفرتا إلى اللقاء في المساء !

كانت فريدة فتاة سمراء رفيقة الخاشية ، حلوة الشكات ، مرحة طروباً كككل فتيات الجنوب ! .. وكان صوتها رخيماً عذياً يهاوج في جمال الأخاذ في أوائل أو أخريات الليل عندما كانت تنسج من اللقاة كزرة والبرس !

كانت تدرس الطب بشغف كبير ، وتعيش مع إرصاد طبيب بردها من أمها في ابتداء كل شهر .. وكان إسماعيل على العكس رجلاً دائم التقلب ، كثير الجدوارة ، وعلى وجهه سبيل قاني دائم ، وكان متمكناً على دراسة القانون ينظر إلى الأمور بوجه مكفهف .. ومع ذلك فقد كانت الصبغة الطويلة ألفت بين قلبيهما ، وامتزجت خفة روح الآتسة فريدة بصرامة بروحه وأثله وبروده الشهود .

عادت فريدة في المساء وكانت مرحة ضاحكة كككل مرة ، وقبل أن تدخل غرقتها النسقة يذوق فتاة مهذبة مقربة هرجت فسأل عن صديقها وتبلغه بحية المساء !

وكان إحسان مطروق الرأس يفكر ناسياً كل شيء .. وكانت الطغلات تقش القرقة والشور الضليل يحنج من النافذة الوحيدة المطلة على الشارع الفرجي ، قالت بصوت فيه رعدة الفرج : وماذا بعد يا صديق ؟

— لا شيء يا عزيزي .. إنها خواطر الحياة !  
— ليس هذا .. إلى أقرأ في عينيك كتابة حقيقة ، قل لي يا صديق أية عاصفة خيالية تجتاح قلبك التي بالأحلام ؟

— لم تعد لي أحلام ، يا آتسة فريدة .. إلى أسبح

الآن في شباب خائق .. إن حياتي تبدأ طريقتها المجهولة ولا أدري كيف سأرى النور .. وكيف أصل النهاية !

— أبهذه القسوة ؟ تعال معي يا صديق .. تعال إلى عرقي لأدلك على أشياء جميلة .. إن عرقي مليئة بالأشواء ، وهناك روايح عميقة تملأ سماءها .. إنها غرفة شمعية لفتاة تقضي وقتها بالتشريح ورائحة الأدوية .. ثم مني .. إلى أفودك إلى واحدة مرحة .

— إن الروح الظلمة يا آتسة فريدة لا تضئها الأنوار .. دعيني أسلك إلى السكون فهو المراء الوحيد .. إلى أروك راحة اليال !

مسحت رأسه الأشعث بأمانها الرقيقة . حتى لامست جبهة الطفنة وقالت : قل لي كل شيء بصراحة وإلا هددتك بقتل صديقتي .. وليس أعز لديك من هذه الصداقة إذا لم أكن بخدوعة !

صمتت .. إن صداقتك شيء ثمين ولكن كتابتي شخصية .. إلى ما أسمى الخاصة .

— لا يمكن أن أتيناك .. أريد أن أعرف سبب هذا التحول السريع .

— السبب !.. أتردين السبب يا آتسة ؟  
— أجل .. لا بد أن أعرف .. إن قلبك ليس مثاق التوافق كما تظن .

— إن منشأ ألي .. آه .. هذه مسألة خاصة .

— ولكنها شيعني .. أعرف ذلك جيداً يا فياسوف القانون الروماني .. سأمزق كل هذه الكتب التي تملأ ذهنك بالسكبات والمخاطبات إذا لم تبيح وتطلعي على السبب ..

— حسن إذا .. (إن أبي قد تزوج ..)

— ومن أجل ذلك تدخل في مناعة ووحية كالفساء !

— إن المسألة يا فريدة ليست سهلة كما تظنين ..

عند ما ماتت أبي قبل خمس سنوات تركت وراءها أربة أطفال ودعاة .. ولكن هذا المنصر الجديد سيملا تلك الحياة الوديعه بالحدق والأحزان .



— أنا أناصك؟ أترين هذا مقبولا؟.. كلا كلا!!..  
 — لا بد من القبول!.. ففكر بدون أناية فيما أقول!  
 — آه... هذا قول جزاف، باسم ماذا أقبل الساعدة  
 منك باسم ماذا؟!... إنه لشيء مؤلم يأتي على روعي كابوساً  
 لا يطلق...  
 واقتربت الآنسة فريدة منه وطوقت عنقه بحرارة  
 وقبلته من ثغره المرتعد قبله حميقة حارة وقالت: باسم الحياة  
 الحياة الزوجية المشتركة... أقبل من خطيبتك بعض القوت  
 والمساعدة ريثما تعيد إليها أياماً حافلة بالسبرات!..

ووقف إحسان ذاهل الفكر ونظر في قرارة عينها  
 ثم طوقها بذراعيه، وقال بصوت كالهمس ضاع مع قبلة  
 طويلة: «أنت امرأة وملاك...» وخيم سكون طويل  
 ورسم السميت قصة المستقبل لفتى وفاتة!...  
 (بغداد)  
 عبد المجيد الطفي

إني أفكر في هؤلاء الصغار أكثر مما أفكر بأني أو  
 بنفسى أو بأى شيء آخر...

— عقلية ساذجة... ما هذا الحراء، إن المرأة مهما  
 كانت صالحة فلا تخلو من عاطفة الرحمة، ثم إنه لم يبق  
 أمامك إلا نفاذهم غير سنة وبعض سنة... هيا معي...  
 إن لدى أسطوانة جديدة «لكارمن ميرابدا» وستضحك  
 كثيراً لأن صوتها أشبه بالواء...

وتحشياً معاً صامتين، ودخلا الغرفة المضادة حيث كان  
 كل شيء يرحب ترحيباً شاعرياً بالقادمين.

\*\*\*

— أسكتك أنت من جديد؟..

— كما ترين!..

— آه إنك تبحار سلسلة من الأحزان في هذه  
 الأيام... هل نسيت أن واجبك الأول النجاح لا نفاذ  
 الصغار الأعزاء؟

— لم أنس ولكنى لا أستطيع... لا أستطيع...  
 مواصلة الدراسة بعد الآن...

— يا لك من ساذج... ما هذا؟.. لا أستطيع...  
 من كل روية وحكمة...

— هذا حكم القدر... إنه إرادته!..

— حكم القدر!..

— أجل، أجل، لقد قطع أبى عن الورد الشليل ولم  
 يبق أمامى غير التروى إلى الحياة والعمل للكسب... ومن  
 أجل هؤلاء أيضاً سأهدم كل أحلامي المذاب... وأشتغل...  
 — صه... ما هذا الكلام القارغ... وإذا كان  
 الورد قد انقطع عنك... فهل مت؟ أنا أيضاً!..

— فريدة!.. ما هذا... إني أرفض أية يد غد إلى  
 مساعدة... إني رجل أعول على نفسي!

— ولكن أنا... أنا أمك مالا طائلاً وثروة تفيض  
 من حبايبى اليومية... إني أنفق أكثر مما أنسى الذى يزد  
 من أمى على توافه الأمور فلماذا لا تنصفتنى هذا الورد؟

## المآسى والصور الغوامض

للأستاذ محمد عبد الله عنان

بضم مجموعة فريدة من المآسى الملوكية والمحاكمات  
 التاريخية والشخصيات الغوامض على نسق كتاب  
 ديوان التحقيق والمحاكمات السكبرى.

مطبوع «بدار الكتب» طبعاً أنيقاً ومزین  
 بعشرين صورة تاريخية. ثمنه ٤٠ قرشاً عدا البريد.

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر  
 وسائر المكتبات